استراتيجية إسرائيل بعد حرب أكتوبر

اللواء مصطفى الجمل

الأهرام
مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية
٥

٢١٢
٩٦٦٠
٢٦٢
٢٩٧٤
١٧٤

مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهـــرام

- مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية مركز علمى مستقل يعمل فى اطار مؤسسة الاهرام ومن أهدافه دراسة العــلاقات الدولية بهدف تقديم بحوث علميــة للتطورات وللصراعات ذات التأثــير على الشرق الاوســط عامة وعلــى الصراع العــربى والاسرائيلى بصفة خاصة . ويدخل فى هذا الاطار :
  - التغييرات الرئيسية التى يمر بها النظام الدولى .
  - المنازعات الدولية المعاصرة وطرق تسويتها .
  - المنظمات الدولية والتــكتلات والتحــالفات السياســية والاقتصادية والعسكرية .
  - الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمــع العربى عامة والمجتمع المصرى بوجه خاص .
- يتكون البناء التنظيمى للمركز من مجلس المستشارين ، مجلس الخبراء ، رئيس المركز ، مدير المركز .
- يتناول جهاز البحــوث بالمركز بالبحث والدراســة الاهتمامات الرئيسية للمركز وهى : (أ) الدراسات السياسية والاستراتيجية (ب) الدراسات العربية والفلسطينية والاسرائيلية ، (ج) الدراسات التاريخية المعاصرة .
- تضم مكتبة المركز الــكتب والدوريات والنشرات والاحصــاءات والاطالس المتخصصة التى تخدم موضوعات البحث والدراســة بالمركز ، فضلا عن قسم خاص بالرسائل الجامعية وأرشــيف للمعــلومات .

ادارة المركز : مبنى جريدة الاهرام ــ شارع الجلاء ــ القاهرة ــ
ت : ٥٩٠١٠ ، ٥٩٥٦٠ ، ٤٦٤٦٤

رئيس المركز : دكتور بطرس بطرس غالى

مدير المركز : الســيد ياسين

١٠٠٧٠٠٢

مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية

استراتيجية اسرائيل بعد حرب أكتوبر

اللواء مصطفى الجمل

أكتوبر ١٩٧٦

تقـــديم

يواصل مركز الدراسات السياســية والاستراتيجية باصداره لهذا الكتاب جهوده السابقة فى مجال دراســة العدو الاسرائيلى من وجهة النظر العسكرية . وقد سبق للمركز أن نشر كتاب « العسكرية الصهيونية » فى مجلدين تناول الاول منهما المؤسسة العسكرية الاسرائيلية والثانى العقيدة والاستراتيجية الحربية الاسرائيلية .

والكتاب الذى نقدم له اليــوم يتنــاول الاستراتيجية الاسرائيلية بعد حرب أكتوبر . وتبدو أهميــة الموضوع فى ضرورة التتبـــع الدقيق لاثار حــرب اكتوبر عــلى المفــاهيم الاسرائيلية فى مجــال التفــكير الاستراتيجى والعسكرى .

ومن المعروف أن وظيفة القيادة العسكرية لا تقتصر على مجرد اعداد القوات ورسم الخطط ثم ادارة المعارك والعمليات بمجرد أن يختتم القتال فى المسرح ، بل تتعــدى ذلك لتشتمل ــ وربما بدرجة أهم ــ عــلى اســتخلاص الدروس المستفادة بمجرد أن تضع الحــرب أوزارها ، أو عقب كل معركة أو عملية حربية ذات شأن خاص ، وذلك حتى يقف الجميع على نقاط القوة والضــعف فى الجانبين المتحاربين ، لوضع الحلول الكفيلة بزيادة قواتنا بأســا وزيادة الخصم تفسخا وضعفا ، عن طريق تطوير الاسلحة والمعدات وتحديث الاساليب والنظريات ...

وليس لهذه الوظيفة من حدود ، ذلك لانه أربح للدولة ألا تخسر الحرب التالية من أن تكسب السابقة .

لقد كان التصريح الاول لافرايم كاتزير رئيس دولــة اسرائيل فى نهاية حرب رمضان يحمل تكليفا لكل صهيونى

بالعكوف على استخلاص الدروس واستغلال الخبرة فيما ينفع مستقبل الصراع العربي الاسرائيلي .

وبمجرد أن تغيرت الوجوه ، وتصدر مردخاى جــور صقور الصف الاول من المؤسسة العسكرية الاسرائيلية اعتنى بأن يركز على بذل مزيد الاهتمام بحصر دروس حرب يوم الغفران للعمل على معالجة الاخطاء وتنمية نقـاط القوة فى شتى مجالات الاستراتيجية والتكتيك والتسـليح والشئون اللوجستيكية .

وهذه الدراسة الموجزة — العميقـة — التى يقـدمها للقارىء الكريم اللواء مصطفى حسن الجمل عن الاستراتيجية الاسرائيلية بعد حركة أكتوبر ١٩٧٣ تتناول أهم الدروس المستفادة وما فرضته من تعديلات وتحسينات وتطويرات فى أساليب القتال وعقائد الحرب ، وفى أسـلحتها وذخائرها . ثم هى تشير بالوضوح المستطاع الى ما ينتظر أن يترتب على كل ذلك من آثار فى مستقبل صنعه الحـرب فى مسرح الشرق الاوسط .

ولقد ركز الكاتب على نظرية الامن القومى الاسرائيلى والعوامل التى أملت هـذه النظـرية بالذات ، ثم علـى الاستراتيجيه العسكرية الاسرائيلية التى تقـوم بتطبيق اسس النظرية مع تبيان التطـورات التى لحقت بهمـا ومسببات ودوافع هذه التطورات ، وأخيرا تأثير كل هذا على الفكر الاسرائيلى بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ استعدادا للجولة الخامسة .

والكتاب بهذه الصفة يوفر للقارىء العربى تحليلا علميا على درجة خاصة من الاهمية لجانب من جوانب الصراع العربى الاسرائيلى . وهو يمثل باكورة البحوث التى تم انجازها فى البرنامج العلمى للمركز هذا العام وسيتبعه بحوث أخرى تتناول عديدا من الموضوعات السياسية والاستراتيجية .

الوحدة العسكرية

بمركز الدراسات السياسية والإستراتيجية

مقدمة

فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ — فى ٢٣ — ١١ — ٧٣ — صرح أفرايم كاتزير رئيس دولة اسرائيل — فى حديث اذاعى — بأن الإسرائيليين وقعوا فى كثير من الاخطاء فى المجالين العسكرى والسياسى قبيل واثناء المراحل الاولى لحرب أكتوبر . واعترف فيه بأن اسرائيل كانت تعيش فيمابين سنتى ٦٧ ، ٧٣ فى نشوة لم تكن الظروف تبرزها ، بل كانت تعيش فى عالم خيالى لا يمت للواقع بصلة . ان هذه الحالة النفسية هى المسئولة عن الاخطاء التى حدثت لانها كانت قد تفشت فى كل المجالات العسكرية والسياسية والاجتماعية وأحدثت فيها مواطن ضعف خطيرة يجب أن يشترك الاسرائيليون جميعا فى تحمل مسئولياتها .

وأوضح كاتزير أنه حين نستخلص الدروس من تلك الاخطاء ، فانه لا ينبغى استخدامها فى توجيه اللوم للاخرين ، بل ينبغى استخدام التجربة والخبرة للعمل على تمهيد طريق الامة فى المستقبل

واضاف أنه ينبغى علينا أن نتعلم فى أعقاب هذه الحرب المخيفة ، وأن نحيا بطريقة أكثر تواضعا وتهذيبا وأقل نزوعا الى المادية . كما ينبغى أن نجاهد لازالة الفجوة الاجتماعية والتغلب على المادية التى اكتنفتنا ، وينبغى أيضا أن نكون أقوياء ليس عسكريا فقط ، وانما اقتصاديا أيضا .

وبعد هذا التصريح بشهر تماما ، أعلن أبا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلى وقتئذ فى حديث نشرته الصحف الفرنسية يوم ٢٣ — ١٢ — ٧٣ ، بأن كل شىء قد تغير بعد حرب أكتوبر . وقال ان النصر المفاجىء الذى حققته اسرائيل خلال حرب يونيو ٦٧ قد خلق حالة عقلية خطيرة فى اسرائيل تصورت انها لاتقهر ، وتميزت هذه الحالة بثقة زائدة فى النفس وعنف متصاعد وبلاغة ينقصها العقل والتفكير . وأكد ايبان أن حرب اكتوبر قد غيرت كل شىء وان العرب قد استعادوا كرامتهم فى أعيننا وأعين العالم اجمع ،بل إنهم نجحوا فى استعادة ثقتهم بأنفسهم .

وقد يقال ان هذين التصريحين جاءا عقب صدمة أكتوبر مباشرة لتبرير الهزيمة ، الا أن مجلة نيوزويك تقدم لنا حديثا لاسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل خلال شهر ابريل ٧٦ يقول فيه :

« لقد كان هناك عهد ممتد من حرب عام ٦٧ الى حرب أكتوبر ٧٣ وكان هذا العهد مليئا بالاوهام بالنسبة لاسرائيل . اما الوقت الحاضر فيمثل فترة انتقال بين ... وبين عهد يتسم بجو أكثر واقعية سيسود فى المستقبل ، عندما يدرك الاسرائيليون انه لا مخرج من الصعاب التى يواجهونها الا بقبول مزيد من التضحيات ومزيد من المشقة » .

وقال رابين « ان هناك ثلاث قضايا لابد أن يكون عليها اتفاق من أجل السلام فى الشرق الاوسط ، وهى تحديد طبيعة السلام والحدود وحل القضية الفلسطينية . وقال ان السلام بالنسبة لاسرائيل لا يعنى فقط انهاء الحرب بجوانبها القانونية والسياسية والعملية ، وانما كذلك بخلق بناء للسلام — بمعنى ايجاد حدود مفتوحة (بين اسرائيل وجيرانها) لكفالة حرية انتقال الاشخاص والسلع والمعلومات » وكذلك اقامة علاقات دبلوماسية .

حقا ، لقد اصاب كل من رئيس الدولة ووزير الخارجية السابق ورئيس الوزراء الاسرائيلى الحالى كبد الحقيقة . نعم ، لقد تغير كل شىء فى اسرائيل . لقد لاحظ كل من زار اسرائيل بعد حرب الايام الستة انها تمر بحالة من الانتعاش والازدهار الوقتى سواء من الناحية الاقتصادية ام السياسية أم العسكرية نتيجة نصرها المظفر فى هذه الحرب . لقد كانت اسرائيل فى هذا الوقت مزدهرة .. راضيه عن نفسها باعتداد وثقه .. ثقه مفرطة بالنفس ، مزهوة بنفسها وبقوتها العسكرية التى تخالها شديدة البأس والقوة والتفوق . ولقد أدى بها الغرور الى تصور وجود فجوة حضارية كبيرة وفارق تكنولوجى ضخم بينها وبين العرب .

أما التخطيط لاقتحام مانع مائى مثل قناة سويس واختراق خط حصين مثل قلاع خط بارليف فهذا أمر يستحيل أن يجرؤ عليه جيش مصر أو حتى أن يفكر فيه ، بل بلغت بها أوهامها أن تصورت أن القيادة السياسية المصرية غير قادرة على اتخاذ قرار الحرب أو

ادارة الصراع المحسوب بكفاءة ضمن اطار الموقف الدولى المعاصر والظروف العربية السائدة .. وليس عام ١٩٧١ .. عام الحسم ببعيد !!

ومن ناحية أخرى ، كانت اسرائيل تتخيل ان الوحدة العربية خرافة ، وان التضامن العربي وهم .. وبالتالى ، فان هجوما شاملا تشترك فيه أكثر من دولة عربية أمر بعيد الاحتمال .

لقد كانت هذه هى المعتقدات التى غص بها الفكر العسكرى .. بل والفكر السياسى الاسرائيلى والتى ادت بقيادات اسرائيل الى استنتاجات خاطئة لا تطابق الواقع ولا تتمشى مع الحقيقة .

ثم جاءت الساعة الثانية والدقيقة الخامسة من بعد ظهر السادس من اكتوبر ١٩٧٣ .. فتحطمت خرافة — ولا أقول أسطورة — الجيش الذى لا يقهر .. واقتحمنا أعقد مانع مائى فى التاريخ .. ودمرنا اقوى خط دفاعى حصين فى اقل من ست ساعات .. وغيرنا كثيرا من المفاهيم والنظريات الاستراتيجية والتكتيكية .. واثبتنا ان الحصول على المفاجأة ليس وقفا أو حكرا على اسرائيل .. وأكدنا أن نظرية الحدود الامنة لا يمكن ان تقوم على سلب الاراضى ، بل على سلام قائم على العدل وحدود دولية متفق عليها يمكن لكل طرف فيها ان يعيش داخلها فى امن واستقرار .. وقضينا على وهم اسرائيل بضمان حرية ملاحتها بالتمسك او التواجد بمنطقة شرم الشيخ .. وحققنا وحدة الامة العربية لاول مرة منذ قرون .. وصدرنا التفكك والتمزق والانقسام والقلق الى اسرائيل .

ولا شك ان الفضل الاكبر لهذه الانتصارات والنجاحات يرجع الى المقاتل العربي المؤمن بربه وو[illegible] وبـ[illegible]حه و[illegible]دقه ، المخلص لواجبه ، المستعد لبذل دمه فى سبيل نصرة بلده وحماية ارضه وشرفه . ان الايمان لدى المقاتل هو أكثر الاسلحة حسما حتى فى مواجهة أعتى الأسلحة وأفتكها ، وان نوعية السلاح وتطوره لا يمكن أن تكون بديلا عن الروح المعنوية العالية والايمان الحق .

يقول « روبرت هونز » رئيس تحرير مجلة « أفييشن ويك » الامريكية : « إن صدمة الانقضاض العربى المشترك يوم عيد الغفران

عام ١٩٧٣ تقضى على أحلام اسرائيل وحولها الى واقع كالح مخيف .. ان اسرائيل تواجه اليوم مشكلة عسكرية عويصة لم تعهدها من قبل ، فى الوقت الذى فقدت فيه كثيرا من حريتها فى العمل لاعتمادها المطلق على المعونات الامريكية والقرارات التى تتخذها القوتان الاعظم .. الامر الذى وضع أزمة الشرق الاوسط داخل اطار الوفاق . لقد اصبح الاقتصاد الاسرائيلى فى حالة من العسر والشدة بما يعادل استهلاك اجمالي الناتج القومى السنوى فى خلال تلك الاسابيع الثلاثة من اكتوبر فى قتال مرير . ان ميزانية دفاع اسرائيل تستنزف أكثر من ثلث مواردها الحالية » .. ويتابع هوتز حديثه قائلا :

« ان مقاتلى اسرائيل صلبى العود ، الذين قضوا معظم حياتهم فى قتال لاقامة وحفظ دولة اسرائيل ، يرون المستقبل الان مظلما وقاتما .

« لقد تحدثت الى أحد الذين فقدوا أولادهم فى حرب أكتوبر عندما زرت اسرائيل بعد عام من وقف القتال ، فقال :

« اننا كنا نعلم انها « دولة اسرائيل » تستحق ذلك من اجل مستقبل الاجيال القادمة . ولكن الان نرى أن هذه الاجيال تستنفد هى أيضا ، ولك أن تتساءل الى أين يقودنا كل هذا !! » .

الفصل الأول

أصل نظرية الأمن القومى الاسرائيلى

المبحث الأول : البحث العسكرى بين خبرة الماضى واحتياجات الحاضر والمستقبل

ان السؤال الذى يطرح نفسه على السياسيين والعسكريين معا هو : هل ستكون هناك جولة خامسة بين العرب واسرائيل ؟ أما السؤال الذى يفرض نفسه على العسكريين فهو : فى حالة قيام هذه الجولة الخامسة ، هل ستكون مختلفة عن الجولات الاربع السابقة ، وعلى الاخص هل ستكون مختلفة عن الاخيرة منها ؟؟

ولا شك أن ما يهمنا فى بحثنا هذا هو الاجابة على السؤال الثانى . ولقد أجاب الكثير من قادة العرب واسرائيل على هذا السؤال . ولقد كانت اجاباتهم تكاد تكون متشابهة .. ولكن يلاحظ ان هناك فرقا كبيرا بين القول والفعل .. اى بين مايصرحون به ، وبين ما يضعونه موضع التنفيذ .

ان الاتهام الذى غالبا ما يوجه الى القادة العسكريين هو أنهم يعدون قواتهم المسلحة للحرب المحتملة على نفس النمط الذى كان فى الحرب الاخيرة التى خاضوها .

لقد غيرت الثورة فى الشئون العسكرية طبيعة العلم العسكرى وطبيعة تطوره . ولقد جرت العادة — حتى وقت قريب نسبيا — أن يعتمد البحث العسكرى أساسا على الماضى وخبرته ، وأن يكتشف الظواهر القياسية المتكررة (Regularities) ، وأن يتتبع تأثيره على الحاضر ، ويتنبأ بتطوره فى المستقبل . أما الان ، **فلم تعد الحروب السابقة هى المصدر الرئيسى لتطور العلم العسكرى . أن الجيوش تستخدم الان طرقا حديثة للبحث تعتمد على نتائج التطبيق أثناء المشروعات التدريبية والمناورات والمباريات الحربية ، بشرط أن تكون جدية وأقرب ماتكون الى الواقع .**

ان الاعتماد على خبرة الماضى فقط معناه وقف التطور ، وهذا بالتالى معناه التخلف والمخاطرة بالهزيمة . ان النظريات المحافظة على القديم بعناد وتصلب لهى شديدة الضرر [illegible]

وبالتالى خطرها — اذا ما أقرت بواسطة من يشغلون وظائف قيادية ومراكز رئيسية فى القوات المسلحة . أن هؤلاء القادة — الذين حققوا انتصارات في معارك سابقة « قادة اسرائيل مثلا » — يصبحون أسرى خبراتهم السابقة وعبيدا للماضى .: ذلك أنه يعز عليهم التخلى عن القديم الذى عرفوه ومارسوه وانتصروا عن طريقه .... وهذا بدوره يجعلهم يتجاهلون الظروف الجديدة سواء الدولية أو المحلية (المتغيرات الدولية — ازمة النقد — البترول واحتمال استخدامها كسلاح — احتمال قيام تضامن معاد — تغير فى القيادات وبالتالى تغير فى السياسات واستراتيجيات .. الخ (أو الأسلحة والمعدات الحديثة ولا يلاحظون الامكانيات التى تستطيع أن تقدمها مثل هذه الاسلحة والمعدات (الصواريخ المضادة للطائرات والمضادة للدبابات مثلا) أو ماذا طرأ على عدوهم من تغييرات سواء فى الصفات القيادية أو القدرات التنظيمية أو الروح المعنوية أو المهارات القتالية ... وبذلك يفقدون القدرة على رؤية المستقبل .

ويثبت لنا تاريخ الحروب (التاريخ العسكرى وفن الحرب) أن النظرية غالبا ما تتخلف عن التطبيق ؛ ذلك لان المرء فى معرفته بالكون يتدرج من المشاهدة ، الى التجربة ، الى النظرية ، الى الحقيقة . ولقد ذكر « لويد جورج » أن القادة عادة ما يكونون مستعدين للحرب الماضية وليس للحرب المقبلة . **ان الافكار المتخلفة** غالبا ما تكون اكثر خطرا من اسلحة المتخلفة .

كما أكد لنا التاريخ — قديمه وحديثه — ان الجيوش تتعرض للهزيمة عندما تبنى اعمالها على الاعتقاد الخاطىء بان الحرب الجديدة — فيما يتعلق بمفاهيمها وطرقها وأساليبها — هى صورة طبق الاصل من الحرب (الحروب) السابقة . لقد كان قادة النازى مقتنعين بأن الحرب ضد الاتحادالسوفيتى هى تكرار للحرب ضد فرنسا وأنها لن تستغرق سوى عدة أسابيع . ولكن أثبتت الحرب العالمية الثانية خطا هذه النظرية ، واستمرت الحرب سنوات وسنوات ليخرج الجميع منهكين مجهدين ، لا نكاد نفرق بين المنتصر والمهزوم .

كذلك اعتقد قادة اسرائيل — الذين استحوذوا على أنظار واعجاب العالم نتيجة انتصارهم الساحق عام ١٩٦٧ — بأن حرب أكتوبر ٧٣ هى تكرار لحرب يونيو ٦٧ .: أى الحرب الخاطفة التى تعتمد على الطائرات والدبابات ليس الا . لقد اخفقوا تماما فى الجولة الرابعة نتيجة فشلهم فى اقناع انفسهم بان نظم الحرب قد تغيرت بعد مضى

اكثر من ست سنوات على الجولة السابقة .. اى الجولة الثالثة .
وكما يقول شمعون بيريز ، وزير الدفاع الاسرائيلى : « لقد ارتكبنا خطأ قبل حرب يوم الغفران ، عندما فضلنا تقديرات مفعمة بالامل على واقع غير سار ، وعلينا تجنب هذا الخطأ مستقبلا ، والحيلولة دون تكراره » .

لقد تغير العديد من العوامل الاساسية لميزان القوى .. وذلك فى صالح اعدائهم .. العرب . وحتى بعد ان حشدت مصر وسوريا قواتهما الضخمة للهجوم تحت سمعهم وبصرهم كذبوا انفسهم وتخلوا عن المنطق وطبيعة الامن ، وغرقوا فى الامانى والتفكير الرغبى « التواق » ، وظلوا متمسكين بتزمت وعناد بما كانوا يطلقون عليه « المفهوم » الذى يقضى :

١ ــ بأن مصر لن تشن حربا على اسرائيل الا بعد ان تضمن لنفسها ، فى المقام الاول ، القدرة الجوية لمهاجمة اسرائيل فى العمق، وخصوصا المطارات الاسرائيلية الرئيسية ، لشل سلاح الطيران الاسرائيلى .

٢ ــ بأن سوريا لن تشن هجوما شاملا على اسرائيل الا فى وقت واحد مع مصر ..

وربما كان هذا التصور أو هذا « المفهوم » صحيحا فى وقت من الاوقات ، اما مع ضغط الظروف السياسية المتغيرة وتعاظم قوة مصر وسوريا بالاسلحة والمعدات وخاصة بالاسلحة المضادةللطائرات والمضادة للدبابات ، فقد اصبح هذا التصور خاطئا ، وكان يتحتم على القيادات الاسرائيلية اعادة النظر فيه ، وبالذات فى الجزء الاول والاهم منه .

وعندى ، أن من أهم أسباب هزيمة اسرائيل ، وخاصة فى المرحلة الاولى من الحرب هو هذا«المفهوم» . لقد بلغ الايمان والتمسك به ــ على جميع المستويات ــ درجة التقديس، وأصبحت جميع المعلومات والتقديرات تفسر فى اطار هذا « المفهوم » . فما كان متفقا معه يؤخذ به لتأكيده وتعزيزه أماكان متناقضا أومتعارضا معه فيسفه ويهمل ، بل يحذف ويلقى به فى سلال المهملات .

ان تمسك القادة الاسرائيليين بهذا المفهوم يتفق مع احدى اهم خصائص الشخصية الإسرائيلية ، وبالذات جماعة الاشكنازيم ،

وهى خاصية « الجمود » التى تعنى عجز المرء عن التخلى عما اعتاده واطمأن اليه من أنواع من السلوك حتى ولو لم تعد تناسب الموقف الراهن ... أى العجز عن ادراك المتغيرات الجديدة التى تطرأ على موقف معين . ولنضرب مثلا بهذا الخصوص .

لقد قدم الملازم اول « بنيامين سيمان طوف » ـ الضابط فى هيئة اركان قيادة المنطقه الجنوبية ـ تقريرين ، الاول بتاريخ اول اكتوبر ١٩٧٣ بعنوان « تحـركات فى الجيش المصرى ـ احتمال تجـدد القتال » ، والثانى بتاريخ ٣ اكتوبر ١٩٧٣ تحت عنوان « تلخيص الوضع فى الجيش المصرى من ١٣ سبتمبر حتى ٢ أكتوبر ١٩٧٣ » . ولقد اشار الضابط فى هاتين الوثيقتين الى عدد من الحقائق الهامة التى لا تتفق وتفسير الاستنفار والاستعداد المصريين بانهما مجرد مناورة . كما كان يعتقد الجميع . واكد ان تلك الحقائق تعطى اساسا للتقدير بان المناورة التدريبية التى قام بها الجيش المصرى اعتبارا من اول أكتوبر ٧٣ ما هى الا تمويه لعمليات حقيقية يخطط المصريون لها .

ولكن ، بدلا من التشكيك فى تقدير الاستنفار والاستعداد المصريين بانهما مناورة وعرض الوثيقتين على قائد المنطقة وشعبة المخابرات ، قام المقدم دافيد غيد اليا ـ رئيس الملازم أول سيمان طوف ـ بحذف النقاط الهامة من هذين التقريرين التى كان من شأنها اثارة الشكوك حول هدف الاستنفار والاستعداد المصريين . وعندما سئل هذا المقدم أمام لجنة اجرانات عن سبب عدم قبوله تقدير الضابط أجاب « بأن هذا التقدير كان متضاربا مع تقدير شعبة المخابرات العسكرية فى أن مناورة تجرى فى مصر ـ ذلك التقدير الذى وافق هو عليه ، وكذلك قائد المنطقة الجنوبية ، وبالتالى فان المصريين لن يبدأوا الحرب » .

وهكذا تسلط المفهوم المتخلف ـ الذى بنى على أساس خبرة حرب يونيو ١٩٦٧ والذى اصبح لا يتمشى مع المتغيرات الجديدة فى أواخر عام ١٩٧٣ ـ على عقول قادة وضباط أركان الجيش الاسرائيلى على مختلف المستويات .. فكانت الهزيمة .

ولقد فطنت معظم الدول الى هذا الخطر فحددت فى قوانينها أقصى مدة لتولى الوظائف القيادية العليا فى جيوشها بثلاث أو أربع

سنين حتى تجدد شباب وحيوية قياداتها بصفة مستمرة ، وتتجنب الجمود والركود ، وتعطى قوة دافعة مطردة الى قواتها المسلحة .
وعلى سبيل المثال ، نجد أن اقصى مدة لتولى الوظائف القيادية العليا فى قواتنا المسلحة أربع سنوات ، وفى اسرائيل ثلاث سنوات وخاصة فيما يتعلق بوظيفة رئيس الاركان العامة الذى يعتبر فى نفس الوقت القائد العام للقوات المسلحة الاسرائيلية ، بينما يعتبر وزير الحربية فى قواتنا المسلحة قائدا عاما أيضا .

نعود مرة أخرى الى السؤال الذى يطرح نفسه وهو هل ستكون الجولة الخامسة - فى حالة قيامها - مختلفة عن الجولات الاربع السابقة وخاصة عن الجولة الرابعة سواء من ناحية المفاهيم والاستراتيجية ، أو التنظيم والتسليح ، أو التكتيك وأساليب القتال .

من المعلوم أن أى حرب تحدث تغيرات فى مختلف المجالات سواء داخل الإطراف المتحاربة أنفسها أم على اتساع العالم كله . ولا شك أن حرب اكتوبر - أكثر من أى حرب محلية أخرى - قد أحدثت من التغيرات التى تجاوزت آثارها المنطقة التى دار الصراع فيها لتنعكس على الاوضاع العالمية ذاتها . حقا ان العالم بعد اكتوبر ٧٣ - كما تقول ورقة أكتوبر - غير العالم قبله .

لقد جا فى الندوة السنوية السادسة عشرة للمعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية بلندن التى عقدت فى الفترة من ١٢ - ١٥ سبتمبر عام ١٩٧٤ الاتى :

« لقد امتدت آثار حرب أكتوبر - رغم انها من اقصر حروب القرن العشرين - الى آفاق أبعد بكثير من مجالها وابعادها ومدتها القصيرة نسبيا . وفى حين أنه من السابق لاوانه التنبؤ بآثارها النهائية ، الا أنها قد أحدثت فعلا تحولات فى توازن القوى بالمنطقة وفى علاقتها ببقية العالم » .

« ورغم أن الحرب قد اثرت بدرجة كبيرة على جميع الاطراف المتحاربة ، الا أن معظم نتائجها المباشرة كانت تلك التى اثرت على اسرائيل ، والتى يبدو أن موقفها قد اصابه الضعف فى ثلاث انواع رئيسية .

« فعلى المستوى العسكري، فان الصورة التى كانت تتمتع بها اسرائيل على مدى واسع فى المجتمع الدولى كقوة ذات استقلال ذاتى ونفوذ قد اهتزت بشدة ، حيث أكدت الخسائر الاولية لاسرائيل فى الجو والهزائم التى منيت بها فى معارك سيناء مدى تعرضها عسكريا ، بينما كشفت حاجتها الى امداد ضخم من الاسلحة والذخيرة والمعدات فى أثناء سير القتال عن مدى اعتمادها على معاونة الولايات المتحدة . ولقد نتج عن ذلك مراجعة جادة لقيمة التفوق الاسرائيلى ، وخاصة فى الولايات المتحدة ، حيث تغير العديد من المفاهيم الرسمية بالنسبة للدور الاستراتيجى الذى تستطيع اسرائيل ان تلعبه فى الشرق الاوسط .

« كما نتج عن حرب اكتوبر ان أنعم النظر جيدا فى سياسات اسرائيل السابقة تجاه العرب ، مما نشأ عنه عزلة دبلوماسية دلت على خطر المبالغة والتهويش فى تقدير قوتها . وحتى الولايات المتحدة - السند والحليف الرئيسى لاسرائيل - بدا أنها قد انتهزت الفرصة التى قدمتها الحرب لتحسين مركزها فى العالم العربى ، واتخاذ دور أكثر انصافا وعدلا كوسيط وصانع سلام .

« ومن الناحية النفسية ، انعكست آثار الحرب داخل اسرائيل فى ضعف الثقة بالقيادة السياسية ، وفى نقد الجيش . ولقد وصف المعلقون الاسرائيليون الحرب كزلزال هز اسرائيل من جذورها ، وأوجب البحث عن منافذ جديدة للتخلص من هذا الموقف الصعب . وزادت الخلافات فى الرأى مع سياسة الحكومة سواء من ناحية اليمين أو اليسار : ففى المستوى القومى قويت أحزاب اليمين بينما بلغ الامر فى بعض الدوائر اليسارية الى حد التشكك فى قدرة الصهيونية نفسها على البقاء . ولقد أظهرت الانتخابات التى اجريت بعد حرب اكتوبر بقليل تزايدا فى عدد الشبان الاسرائيليين الذين تبخرت أحلامهم فى الحياة فى اسرائيل والذين يرغبون فى الهجرة منها اذا أتيحت لهم الفرصة ، كما أعادت الصحافة اليومية الى الاذهان أصداء عقدة مسعدة » .

حقا ، ان الحرب قد أصابت اسرائيل بصدمة نفسية عنيفة أفاقتها من أحلام اليقظة التى عاشت فيها أكثر من ست سنوات . لقد فقد الشعب ثقته فى قيادتيه السياسية والعسكرية بل وفى النظام نفسه .

ويفقد الضباط الاصاغر والجنود ثقتهم في قادتهم وفي أسلحتهم بل وفي أنفسهم وفي حق الوجود الاسرائيلي نفسه . واكثر من ذلك ، ابتدأ كبار العسكريين يتهمون رفاقهم في السلاح بأنهم غير اكفاء من الناحية التكتيكية وانهم لايصلحون لتولي المناصب القيادية التي يشغلونها ... الامر الذي أدى الى نشوب «حرب الجنرالات» ، وزاد من حيرة الشعب وشعوره بالفزع .

ولا شك أن الوضع الذي وجدت اسرائيل نفسها فيه عقب حرب أكتوبر وراءه أسباب وأسباب . فما هي يا ترى هذه الاسباب ! ، او على الاصح ماهي الاخطاء التي وقعت فيها وسببت هـذه الهزيمه ؟ ذلك أنه لا هزيمه بدون أخطاء ، وخاصة أنها كانت منتصرة طوال ربع القرن الذي سبق هذه الحرب . وما هو الحل لتلافي هذه الاخطاء حتى لاتتكرر مرة ثانية ، وخاصة ان هزيمة اسرائيل هذه المرة لم تكن هزيمة كاملة ، بل نصف هزيمة ، وتخشى إسرائيل ان تكون هزيمتها القادمة هزيمة كاملة ... وعندئذ تكون الطامة الكبرى التي تهدد كيان ووجود اسرائيل ذاته .

المبحث الثاني : خصـائص اسـرائيل واسس نظـرية امنها

لكي نعالج الموضوع تحت البحث ، وموقف اسرائيل من الجولة الخامسة مع جيرانها العرب ، لابد وأن ندرس الموضوع من عدة نواح ، وهي بالتحديد والترتيب الاتي : ـ

ـ ماهي اهداف الصهيونية من خلق اسرائيل ، وهل تحققت هذه الاهداف كلها ؟ أم تحققت جزئيا فقط ! ؟

ـ ما هي العقيدة العسكرية التي تبنتها اسرائيل لتحقيق هـذه الاهداف ؟ وما هي العوامل التي اثرت على اتخاذ هذه العقيدة . وبعبارة أخرى ، ما هي خصائص اسرائيل التي دفعتها الى اتخاذ هذه العقيدة بالذات ؟

ـ ما هى الاستراتيجية التى أعدتها اسرائيل لوضع هذه العقيدة موضع التنفيذ ؟
ـ ما هى التطورات التى حدثت ازاء أهداف اسرائيل ،وكذا بالنسبة لعقيدتها واستراتيجيتها ، ودوافع هذا التطور ! ؟

أهداف اسرائيل

أن الاهداف السياسية للصهيونية واسرائيل ـ بعد انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ـ كانت ولاتزال هى : « اقامة اسرائيل الكبرى » ، وفرض الصلح على العرب بالقوة أو « فرض السلام الاسرائيلى » . ولتحقيق هذه الاهداف كان على اسرائيل ان تضع لنفسها عقيدة عسكرية او ما تطلق عليه « نظرية الامن القومى الاسرائيلى » والتى اعتمدت اساساً على القوة . ذلك أن اسرائيل ما هى الا تجمع ـ ولا أقول مجتمع ـ استعمارى استيطانى توسعى عسكرى ، لا يستطيع الاستمرار فى المنطقة دون استخدام القوة ضد جيرانه .

خصائص اسرائيل

ولقد درس المسئولون الاسرائيليون حالة وموقف وظروف بلدهم منذ انشائها وخرجوا بالحقائق والخصائص الاتية :

١ ـ ضيق رقعة الارض وصغر حجم الدولة .
لم تكن مساحة اسرائيل تزيد كثيرا عن ٢٠ ألف كم ٢ ، ولم تكن المسافة التى تفصل قلب اسرائيل عن أبعد مناطق الحدود ـ باستثناء ايلات ـ تزيد عن المائة كيلو متر . ولم يكن عرض اسرائيل فى بعض اجزائها يعدو ١٥ كم ، بينما كان اجمالى طول الحدود ٩٥١ كم .
٢ ـ قلة عدد السكان مع وجود حوالى ١٠ فى المائة جنسيات معادية .
٣ ـ بعدها عن اصدقائها وتعرض خطوط مواصلاتها معهم .
٤ ـ احاطتها بأعداء من جميع الجهات ـ ما عدا من جهة الغرب ـ يتربصون بها لاسترداد حقوقهم وأرضهم المغتصبة .
٥ ـ ضعف اقتصادها القومى ، واعتمادها الكلى على الخارج تقريبا .

٦ - تمركز انتاج الدولة وقدراتها الاقتصادية والبشرية فى وسطها حول منطقة تل أبيب .

أسس نظرية الأمن القومي الاسرائيلي :

وبناء على هذه الحقائق والخصائص ؟ وضعوا لانفسهم عقيدة عسكرية متكاملة [نظرية أمن قومى] لتحقيق أهدافها السياسية ، وتتلخص اهم اسس هذه العقيدة او النظرية فى الاتى :

١ - اقامة مجتمع عسكرى حتى يمكنهـــا تعـــويض النقص الديموجرافى وعدم أسنطا عنها اقامة جيش عامل كبير .

٢ - نظام محكم للامن الداخلى ، يكفل السيطرة على الاقلية العربية ، ويضعها تحت حكم عسكرى فاشى .

٣ - القدرة على الردع الشامل نتيجة التفوق النوعى ، وذلك بفرض سياسة التهديد والتخويف حيث أنها السياسة الوحيدة التى تضمن أمنها وبالتالى بقاءها بالرغم من احاطتها بدول معادية . ومن هنا كان اتباع اسرائيل لاسلوب « المذابح الجماعية » [صرح القادة الاسرائيليون فى أعقاب حرب ١٩٤٨ : « لقد كان من المستحيل أن تظهر دولة اسرائيل الى حيز الوجود لولا مذبحة دير ياسين » ، وكانوا كلما أرادوا ارهاب العرب وحثهم على ترك أراضيهم أذاعوا عليهم : « ما لم تتركوا بيوتكم فورا فسيكون مصيركم مثل مصير اخوانكم فى دير ياسين »] ،الى اسلوب « الاغارات الانتقامية » لبث الخوف والرعب فى قلوب العرب ولاسباغ الطمأنينة على اليهود سكان اسرائيل . وفى هذا المجال كانت ترمى دائما الى ان يكون ردها عنيفا يفوق كثيرا اى مسبب له ، حتى يكون ذلك الرد القوى حائلا بين العرب وما قد يحدثون مجرد التفكير فى القيام به ، وحتى يؤدى ذلك اخيرا الى فقد العرب المبادأة وتركهـــا صاغرين للاسرائيليين خشية العواقب ، وبذا ينتابهم القنوط واليـــأس ويستسلمون للاستكانة والخنوع .

٤ - مواجهة العرب فرادى وهزيمتهم على التوالى ، أى عدم القتال على اكثر من جبهة واحدة فى وقت واحد .

٥ - الحرب القصيرة ، أى حتمية انهاء الحرب باسرع ما يمكن نظرا للقيود البشرية والاقتصادية التى تعانى منها اسرائيل .

٦ ـ سرعة نقل المعركة الى أرض العدو لقلة عمق اسرائيل وضيق رقعتها وحتى لا يتأثر قلب اسرائيل ذو الكثافة السكانية والاقتصادية . لقد كان بن جوريون يعتبر أن نجاح أى هجوم معاد داخل اسرائيل حتى ولو تم ايقافه وتدميره مخالفا لروح تلك العقيدة .

٧ ـ ضمان مؤازرة قوة كبرى او اكثر كحليف موثوق بمعاونته ونجدته في كل وقت .

٨ ـ تهيئة الراى العام العالمي وكسبه فى جانبها ، وتصوير الموقف على أن الدول العربية التي تحيط بها من كل جانب فى سبيلها الى غزوها وازالتها من الوجود والقاء شعبها فى البحر .

٩ ـ تقسيم الهدف النهائي الى أهداف مرحلية [متوسطة] حسب امكانيات القوات المسلحة الاسرائيلية ، وبقدر ما يسمح به الموقف الدولي ، وخاصة وأن اسرائيل كانت ولا تزال تؤمن بأن الوقت يعمل لصالحها .

المبحث الثالث : الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية

ولتحقيق هذه العقيدة او نظرية الامن ووضعها موضع التنفيذ، تم وضع استراتيجية تتلخص أهم عناصرها فى الاتى :

١ ـ اقامة جيش قوى تشكل قواته العاملة النظامية جزءا صغيرا اشبه بذلك الجزء الظاهر فوق سطح الماء من جبل الجليد العائم، وتشكل قواته الاحتياطية الجزء الاكبر والذى يبقى تحت سطح الماء ، ولا يظهر الا عند الصدام الفعلي . ان الجيش القوى يخيف الخصم . ويشكل عامل ردع يجعل العدو يتردد كثيرا قبل دخول ميدان القتال ؛ وكذا يمكنه تدمير اى جيش عربي بصورة خاطفة وسريعة . وفى الوقت نفسه ، يتفق هذا التقسيم مع حقيقة قلة سكان اسرائيل وضعف اقتصادها .

٢ ـ ترسانة أسلحة حديثة تقدم لاسرائيل من دول صديقة وحليفة على شكل هبات وهدايا وخبرات فنية عالية ، مع العمل على اقامة صناعة حربية متطورة بالتدريج .

٣ ـ نظام تعبئة كفء يسمح بسرعة نجدة القوات العاملة عند الضرورة .

٤ ـ نظام دفاعى منسق جيد التجهيز والاعداد عند الحدود لحماية قلب اسرائيل ، يعتمد اساسا على المستعمرات الدفاعية التى تعتبر بمثابة عمق استراتيجى صناعى ، وجهاز جيد للدفاع الجوى، وذلك لتوفير القوات والوقت اللازمين لاتمام التعبئة وحشد القوات تمهيدا لانتزاع المبادأة ـ فى حالة فقدها ـ والتحول الى الاعمال الهجومية .

٥ ـ شبكة طرق حديثة ومواصلات جيدة توفر سرعة حشد عالية مستقلة فى ذلك ضيق رقعة البلاد ، كما تسمح لها بتبنى استراتيجية العمل على خطوط داخلية لتأمين جبهاتها الثلاث .. الامر الذى حقق لها مبدأ الاقتصاد فى القوى والجهود والنفقات . ولقد اشار الجنرال « تال » الى ميزة الحركة على الخطوط الداخلية فى مقال فى جريدة بديعوت أحرونوت بتاريخ ٦ـ٦ـ١٩٧٥ فقال : « كان لدينا ـ قبل حرب الايام الستة ـ تفوق استراتيجى آخر وهو الخطوط الداخلية . أى أننا كنا نستطيع تركيز القوى أسرع من العدو وكنا نستطيع تغيير مركز الثقل فى المعركة بسرعة نسبية أكبر ، بالاضافة الى تركيز الجهود والتعزيزات » .

٦ ـ جهاز مخابرات واستطلاع « مخ وسطع » كامل يؤمن اسرائيل ضد المفاجأة ويعطيها انذارا كافيا لاتمام التعبئة والفتح ، كما يوفر لها تفاصيل نوايا وقوة وخطط الاعداء .

٧ ـ الاعتماد أولا على التفوق الجوى بانشاء قوات جوية متفوقة نوعا وعددا والتى تمثل « اليد العليا » و « الذراع الطويلة » لاسرائيل فى المنطقة ، ثم الاعتماد ثانيا على القوات المدرعة . « ذراع اسرائيل البتارة وقبضتها الفولاذية » ، حيث انهما ـ كما ترى اسرائيل ـ أفضل ما يحقق النصر لها ، وخاصة فى المناطق الصحراوية المكشوفة ، بشرط أن يعملا سويا فى تعاون وثيق .

٨ ـ تبنى استراتيجية الحرب الخاطفة حتى يمكن انهاء الحرب فى أقصر وقت ممكن ، وحتى يمكن تحقيق مفهوم الحرب القصيرة ومجابهة العرب فرادى وهزيمتهم على التوالى . ان الحرب الخاطفة

تعتمد على ثنائي « الطائرة والدبابة » فى تحقيق اختراق قطاعات ضيقة من الجبهة يتم تركيز القوات المدرعة فيها [دبابات وحاملات أفراد مدرعة] ، ثم تندفع المدرعات نحو العمق تدعمها القاذفات القاذفة كمدفعية ثقيلة خفيفة الحركة جدا لقطع خطوط المواصلات ، وتبث الذعر والاضطراب فى مراكز القيادة ومناطق الشئون الادارية (الامداد والاعاشة) ، طبقا لاسلوب استراتيجية الاقتراب غير المباشر التى نادى بها « ليدل هارت » وصاغ نظريتها وقننها ، ثم طبقته الجيوش الالمانية بمهارة فى الحرب العالمية الثانية وخاصة فى السنوات الاولى منها .

٩ ــ السبق فى توجيه الضربة الاولى كضرورة لتحقيق المفاجأة والحصول على المبادأة منذ اللحظة الاولى ، وكذا لاحباط اى تحضيرات عربية للقيام بعمل عسكرى حاسم . وتسمى اسرائيل هذه الضربة بالحرب الوقائية التى تتلخص فى واقع الامر ــ من وجهة نظر اسرائيل ــ فى البدء بشن حرب عدوانية على أى دولة مجاورة اذا ما شعرت بأن هذه الدولة تستعد ، أو قد أصبحت مستعدة لشن الحرب ، أو صورتها لها دعايتها بأنها تستعد لمهاجمتها . كما حدث فى عدوانى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ . ويعتبر هذا المبدأ تطبيقا متطورا لمفهوم نقل الحرب الى أراضى الخصم بسرعة فور نشوب اى حرب شاملة حتى لاتتعرض اراضى اسرائيل ــ التى تفتقر الى العمق ــ لاضرار ومخاطر الحرب .

١٠ ــ العمل ــ بالتعاون مع الدول الكبرى الصديقة ــ على زيادة الاختلافات والتناقضات بين الدول العربية حتى تضمن محاربة كل دولة على حدة .

١١ ــ انتهاج سياسة على مستوى كبير من المرونة والبراعة على المسرح الدولى ، منتهزة الفرص المناسبة لتحقيق أهدافها [تأميم قناة السويس ومعاونة مصر لثورة الجزائرية ضد فرنسا ، فقامت بشن حرب تواطئية معلنة عام ١٩٥٦ ــ زيادة التوتر بين مصر والولايات المتحدة وتحدى الرئيس عبد الناصر للرئيس الامريكى جونسون « اذا كان البحر الابيض بيكفهوش فعنده البحر الاحمر يشرب منه » ، فقامت اسرائيل بشن حرب تواطئية مستترة عام ١٩٦٧) .

١٢ ــ لتنفيذ نظرية تقسيم الهدف النهائى الى أهداف مرحلية متوسطة ، كان من الضرورى اتباع أسلوب الاستراتيجية غير

المباشرة التى تسعى ـ عن طريق النصر العسكرى ـ الى الوصول بسرعة جدا ، وباستخدام قوة متفوقة تماما الى هدف متوسط فى حدود حرية العمل الخارجى المتيسرة . ثم التوقف فترة قبل البدء فى عملية أخرى . وعلى هذا ، يمكننا أن نقول ان هذا الشكل من أساليب الاستراتيجية يتكون من سلسلة من العمليات المتتالية ... المتباعدة زمنيا ، للاستيلاء على اهداف محدودة نسبيا تتخللها مفاوضات ، سواء مباشرة او عن طريق الأمم المتحدة أو عن طريق دولة وسيطة . هذه الاستراتيجية اصطلح على تسميتها استراتيجية التجزئة او القضمات أو المراحل او الخرشوفة التى كان يتبعها هتلر .. وندار كل عملية او جولة أو مرحلة أو قضمة بأسلوب الاستراتيجية المباشرة ... ولكن باستخدام أسلوب الاقتراب غير المباشر . وواضح ان هناك فرقا بين الاستراتيجية غير المباشرة ـ كما يراها الجنرال « اندريه بوفر » واستراتيجية الاقتراب غير المباشر التى نادى بها « ليدل هارت » والتى تعتبر نمطا من الاستراتيجية المباشرة .

ان المطلب الحيوى الاول للنجاح بالنسبة لهذه الاستراتيجية هو توفر حرية العمل المكتسبة بنتيجة المناورة الخارجية ، والا كانت النتيجة فاشلة تماما مهما كان النصر العسكرى ، كما حدث فى عدوان ١٩٥٦ حيث كان يعوزه التغطية الخارجية [قامت الحرب ضد رغبة القوتين الاعظم] .

والمطلب الحيوى الثانى للنجاح ، هو ان الهدف يجب ان يبدو وكانه الهدف الوحيد والاخير ، وأن هناك ما يبرره بحيث يمكن أن يتقبله الرأى العام العالمى .. كما حدث فى عدوان ١٩٦٧ . وفى هذا الموضوع تنص الوثائق السرية الاسرائيلية على الاتى :

« واذ نقرر شن حرب وقائية ، فعلينا أولا ـ لاسباب سياسية ـ أن نتحرش بالعدو حتى نشر معه نزاعا مسلحا أو نجعله يبدو أمام الرأى العام العالمى وكانه يستعد لمهاجمتنا ويهدد أمننا ، وبالتالى نقيم الدليل بأن الحرب التى نشنها ليست عملا عدوانيا من جانبنا » .

والمطلب الحيوى الثالث للنجاح ، هو أن تجرى هذه العمليات

المتتالية على فترات زمنية متباعدة ... حوالى عشر سنوات للأسباب الاتية :

١ ـ أن قوة اسرائيل العسكرية لا تسمح لها بتحقيق الهدف النهائى مرة واحدة .. اقامة اسرائيل الكبرى .. اى ان تصل الى النيل والفرات ، وتحتل كل هذه الاراضى ، وتتغلب على كل القوة البشرية فيها .

٢ ـ أن تحقيق هذا الهدف النهائى مرة واحدة يتطلب قوة بشرية ضخمة واقتصادا قويا مزدهرا وحربا طويلة ، واسرائيل لا تملك القوة البشرية الضخمة ، ولا الاقتصاد القوى ، كما انها لاتؤمن بالحرب الطويلة الممتدة لانها لا تقدر عليها ، وانما تؤمن بالحرب الخاطفة القصيرة لانها تتمشى مع امكانياتها العسكرية والبشرية والاقتصادية .

٣ ـ ان الحرب الواحدة الطويلة تتطلب أموالا ضخمة دفعة واحدة سواء على حساب الاقتصاد الذاتى ، أم على حساب القروض والاعانات والمنح من أمريكا كدولة ، أم على حساب الهبات والهدايا من يهود الشتات كأفراد وهيئات.وهذا امرغير متيسر .ومن الطبيعى أنه أيسر على الدولة أو الفرد دفع مبلغ معين على أقساط بدلا من دفعه مرة واحدة .

٤ ـ اثبتت الدراسات أنه لتعويض الخسائر فى اسرائيل سواء عن طريق المواليد ام عن طريق الهجرة والتهجير ، واعادة بناء القوات المسلحة ، وكذا لتجميع المعلومات عن الحرب السابقة وتحليلها واستنتاج الدروس المستفادة منها ثم نشرها على القوات والتدريب عليها ، وأخيرا لاستقرار الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية يستلزم الامر فترة لا تقل عن ٧ ـ ٨ سنوات قبل شن حرب جديدة .

٥ ـ لما كانت اسرائيل متغلغلة داخل المجتمعات الغربية كلها ، فأنها تستطيع ان تتعرف على تطور العلم والتكنولوجيا افضل من الدول العربية ، ولذا فهى تعمل على أن تنقضى فترة من الوقت حتى تحصل على اختراعات الغرب او على الاقل أسرارها . وبذا تزيد الفجوة العلمية والتكنولوجية بينها وبين العرب .. وعندما يحين

الوقت المناسب لشن الحرب تستخدم هى وسائل وطرق وأساليب جديدة بينما العرب يحاربون بوسائل وطرق وأساليب الحرب السابقة .

٦ - أن يكون الرأى العام العالمى قد نسى الجولة السابقة .

والمطلب الحيوى الرابع للنجاح ، هو تحقيق المفاجأة وسرعة خلق « أمر واقع » لا جدال فيه يمكن استخدامه كأساس لمفاوضات تالية . وهنا يظهر الفرق واضحا بين عدوان ١٩٥٦ ، وعدوان ١٩٦٧ . ففى الاول كان خطأ الانجلبز والفرنسيين يكمن فى القيام بعملية جوية بغرض « التليين » لعدة أيام قبل النزول فى بورسعيد .. وبذا وفروا لمصر فرصة تحقيق « أمر واقع » فى صالحها تم فيه استمالة الرأى العام العالمى الى جانبها ، وكذا تنشيط المحافل الدولية للعمل الايجابى المضاد لايقاف الابرار الجوى والبحرى . أما فى عدوان ١٩٦٧ فكانت المفاجأة تامة ... والهزيمة كاملة ... وتم خلق « أمر واقع » فى صالح المعتدى والوصول الى قناة السويس بسرعة مذهلة .

المبحث الرابع : أول تطبيق للنظرية والاستراتيجية

تلك كانت عقيدة او نظرية الامن الاسرائيلى حتى حرب ١٩٥٦ ، ولكن بعد أن أجبرت الولايات المتحدة اسرائيل على الانسحاب من سيناء ، أضافت الى عقيدتها أو نظرية أمنها أساسا جديدا وهو ضرورة « الاعتماد على القوة الذاتية » حتى تحتفظ بمكاسبها العسكرية التوسعية ولاتجبر مرة اخرى على التخلى عنها ، وكذا لتتحرر من عقدة وصفها بأنها صنيعة الامبريالية الغربية والعوبتها وربيبة الولايات المتحدة وذيلها .

كما ترسخت استراتيجية الحرب الخاطفة لدى القيادة الاسرائيلية وتطلب ذلك زيادة التركيز على فعالية القوات الجوية والاحتفاظ دائما بالسيادة والسيطرة الجوية . لقد اشترطت اسرائيل عام ١٩٥٦ عدم القيام بالحرب قبل الحصول على ضمان كتابى من فرنسا

لحماية سمائها] ، وكذا زيادة الاهتمام بالقوات المدرعة حيث انهما يشكلان عنصرى الحرب الخاطفة . هذا بالاضافة الى دور القوات الجوية فى القيام بأعمال أخرى فى عمليات الردع والانتقام .

يقول كتاب الجولة العربية الاسرائيلية الثالثة الصادر عن القوات المسلحة المصرية :

« كان عام ١٩٦٤ هو نقطة التحول فى العقيدة الاسرائيلية العسكرية بالنسبة للظروف الواجب توافرها قبل شن العمل التعرضى الكبير . فبعد أن كان حتما أن يعتمد العمل التعرضى على الدعم العسكرى السافر من الدول الامبريالية ، الامر الذى نصت عليه الفقرة الاولى من يوميات معركة سيناء ، عام ١٩٥٦ للواء موشى ديان بقوله « لولا المغامرة الانجلو فرنسية لكان هناك شك فى أن تقوم اسرائيل بالحرب . ولو فعلت ذلك لاختلف شكل المعركة سواء فى ادارتها او نتائجها . » أصبح الامر بعد عام ١٩٦٤ ذا طابع اكتفاء ذاتى عسكرى مع دعم خارجى مستتر لا يفضح وظيفة اسرائيل الحقيقية فى المنطقة كمخلب قط وعميل للاستعمار الامبريالى يؤلب عليها الضمير العالمى بما يحرمها من ثمار النصر الميدانى ، وذلك عندما بلغ حجم القوات المسلحة الاسرائيلية القدر الكافى للتصدى للدول العربية المحيطة بها فى وقت واحد بقوة مسلحة مقدارها اربعة وعشرين لواء مشاة ميكانيكى ومظلات ، وسبعة الوية مدرعة ، وعدة كتائب دبابات مستقلة ، ووحدات وعناصر الدعم والتأمين الاخرى ، وكذا القدر الكافى من الطائرات المقاتلة والقاذفة القادرة على شن ضربة جوية مفاجئة ساحقة تدمر الغطاء الجوى وتخلق أفضل الظروف لبدء المعركة البرية » .

ولاشك ان هذه العقيدة وهذه الاستراتيجية قد حققتا نجاحا كبيرا فى حرب ٦٧ . ولكن هل هما السبب الرئيسى فى نتيجة الجولة العربية الاسرائيلية الثالثة ؟ ان الرأى عندى هو أن أخطاء العرب بصفة عامة ومصر بصفة خاصة هى السبب الرئيسى والحقيقى وراء النصر الاسرائيلى . انه من الطبيعى بل من الضرورى ان يعمل كل طرف على تقوية جيشه وأن يحسن تسليحه وتنظيمه وتدريبه بحيث يتفوق على جيوش خصومه . اما ما ليس طبيعيا بل ما يعتبر خيانة وطنية عظمى فهو اهمال الجيش بحيث لا يقدر على حماية الوطن ضد الخطر الخارجى .

يقول ليدل هارت : « انه في الحرب غالبا ما تتغير الموازين نتيجة اجبار العدو على ارتكاب الاخطاء ، اكثر مما تتغير نتيجة قتالنا بكفاءة » .

ان موقف التمزق والتفكك والتباعد بل والعداء الذى كان يسود العالم العربى عشية حرب يونيو ١٩٦٧ ، وحالة الجيش المصرى وانشغاله بالامن الداخلى وتهافت بعض أفراده على تولى الوزارات والوظائف الكبرى ولجان الاقطاع والحراسات وشئون كرة القدم الى آخر هذه الاهتمامات الجانبية التى يؤكدون بها سيطرتهم على شئون البلاد . كل ذلك كان كفيلا بانتصار اسرائيلى مهما اعتنقت من عقائد ووضعت من استراتيجيات . وسوف نقوم بتحليل نظرية الامن الاسرائيلى واستراتيجيتها العسكرية بعد أن نستكملهما ونعرض ما طرأ عليهما من تطورات عقب حرب يونيو ٦٧ التى اعتبرت اسرائيل نتيجتها دليلا ساطعا على صحتهما وسلامتهما .

ان حرب السويس عام ١٩٥٦ ، بالرغم من انها انتهت الى ما بدأت به حيث انها لم تحقق لاسرائيل اى توسع او كسب اقليمى ، اللهم الا منطقة شرم الشيخ ، الا انها ذات أهمية كبرى فى تاريخ اسرائيل وجيشها ، اذ انها أوضحت لها نقاط القوة والضعف فى نظرية امنها القومى ، ذلك انها كانت الحرب النظامية الاولى التى اختبرت فيها هذه النظرية وطبقت أسسها عمليا ، وبذا أعطت الثقة لجيش الدفاع الاسرائيلى ، كما أنها اوضحت لاسرائيل ضرورة العمل على زيادة اعتمادها على نفسها حتى تكون المعاونة الخارجية مستترة وفى أضيق نطاق ممكن .

واذا كانت حرب السويس ذات أهمية عظمى لاسرائيل ونقطة تحول فى العقيدة الاسرائيلية ، فانها ذات أهمية أعظم ونقطة تحول بارزة فى تاريخ حركات التحرير الوطنية . لقد أثبتت هذه الحرب أن ارادة الشعوب وتصميمها على نيل استقلالها والمحافظة عليه أقوى من اساطيل الدول الكبرى . ولقد كانت النتيجة مذهلة حقا حيث شهدت الستينات أعظم حركة تحرر وطنية فى التاريخ ، وبالتالى استقلال اكبر عدد ممكن من الدول المستعمرة .



النظرية والاستراتيجية عقب حرب يونيو ٦٧

ادى وصول القوات الاسرائيلية الى الضفة الشرقية لقناة السويس والضفة الغربية لنهر الاردن والحافة الشرقية لمرتفعات الجولان الى وقوع مساحات واسعة من الاراضى العربية الجديدة تحت الاحتلال الاسرائيلي تفوق مساحة الاراضى المحتلة اصلا عام ١٩٤٨ ، اذ بلغت مساحتها ٨٥ الف كيلو متر مربع تقريبا وبعد ان كانت ٢٠ الفا فقط [، وامتدت المسافة من قلب اسرائيل الى مناطق الحدود فبلغت ٣٥٠ كم من بعض أجـزائها [تل أبيب ـ القنطرة شرق]، وزاد عرض اضيق اجزائها فأصبح ٧٠ كم بعد ان كان ١٥ كم وزاد طول حدودها والمناطق التى تحتلها فبلغ « ٢٠٠٠ » كم بعد ان كان ٩٥١ كم . وفى نفس الوقت كانت الارض المكتسبة تفتقر الى شبكة طرق متقدمة ، كما تشكل أغلب اجزائها أرضا صعبة العبور أو شديدة الوعورة وكان من الطبيعى أن يزداد عدد السكان العرب المعادين بطبيعتهم لاسرائيل مع زيادة مساحة الاراضى المحتلة فبعد ان كانت نسبة السكان العرب ١٠ فى المائة من اجمالى السكان قفزت النسبة حوالى ٤٠ فى المائة مع ما فيه من خطر على الامن الداخلى الذى يشكل أحد دعائم الامن القومى الاسرائيلى وبقدر هذا الفارق بين النسبتين يكون الفارق بين أعباء الماضى ومشاكل وأخطار الحاضر .

فاذا أضفنا لكل هذا عاملا اخر أكثر أهمية وهو انتشار المقاومة المسلحة للشعب الفلسطيني والاضطرابات التى لا تنقطع فى الاراضى المحتلة لوجدنا ان موقف الامن الداخلى الاسرائيلى اصبح يعانى من تعقيدات ربما فاقت طاقة اسرائيل . ان اشتعال المقاومة المسلحة لابد وان يترك بصماته على نظام الدولة العسكرى والاقتصادى والسياسى والمعنوى ، كما ان مجرد هذا الوجود يعكس آثارا رئيسية على الاستراتيجية العسكرية ويؤدى اتساعه الى بعثرة الجهود العسكرية وانهاك قواها المادية والمعنوية ، وخاصة عندما تصبح المناطق الحيوية فى قلب اسرائيل مهددة . . ومعرضة لخطر .

ولاشك ان ماترتب على احداث يونيو ٦٧ من نتائج يعتبر انقلابا فى الاوضاع الاستراتيجية بالشرق الاوسط . ولا يمكننا ان ننكر ما حققته اسرائيل من مكاسب ضخمة . ولكنى أبادر واقول ان معظم

هذه المكاسب ستبقى قيمتها الفعلية معطلة ومعلقة بمدى ما يمكن أن تحققه اسرائيل من استقرار وأمن بالمناطق التى احتلتها وبخطوط وقف اطلاق النار التى وصلت اليها .. الامر الذى لم ولن يحدث اطلاقا مهما طال انتظارها . وبمعنى آخر ان اسرائيل اعتقدت ان نصرها العسكرى الساحق سوف يجنى ثماره الطبيعية ويتحول الى نصر سياسى . حيث أن الامم لا تخوض الحروب من أجل الحرب فى حد ذاتها ... ذلك لان كسب الحرب ليس غاية وانما هو وسيلة الى غاية ... هذه الغاية هى سلام أفضل .... سلام تستطيع الدول فى ظله أن تنعم بالامن والاستقرار ، وان تنمو وتزدهر .

الحدود الامنة

لقد كانت أمام اسرائيل فرصة ذهبية بعد حرب يونيو ١٩٦٧ لتحقيق السلام الدائم القائم على العدل فقد كانت منتصرة وتحتل أجزاء ضخمة من الاراضى العربية ، والعرب متفرقين ، وكان يمكنها أن تساوم على السلام بالارض . ولكن ، كما يقول المؤرخ الاسرائيلى البروفيسور يعقوب تلمون فى أواخر عام ١٩٧٣ ، « هل كان الناطقون باسمنا متبجحين وعميانا وجهلة ؟ كلا لقد ارادوا من العالم أن يمنحنا مهلة ، ويصرف النظر عنا ، ويسمح لنا بخلق الحقائق لوضع العرب والامريكيين والعالم أمام حقائق جديدة . ولم نكن فى البداية ولا فى النهاية ، متفقين اتفاقا كاملا على الحقائق التى يجب أن نخلقها . ولكن فى هذا الوقت رضخ المترددون .. الخائفون للمتشددين الذين قرروا الضم الزاحف او الحثيث والذين عارضوا الانسحاب فى كل حال من الاحوال ، وسموه استسلاما .

« وكلما كانت الرغبة فى الضم تزداد ، كان علينا اكثر فأكثر أن نؤمن بأنه لا خطر من الخارج . وكلما استمرت الهدنة ، برزت احتمالات الضم . اضف الى ذلك ، ان الاستيطان والضم صورا بأنهم ادوات تدعيم الامن ، وبمفهوم معين بديل للحرب ، وضمان ضدها . وهكذا ادخل مبدأ جديد على نظرية الامن الاسرائيلى عرف بمبدأ « الحدود الامنة » .

ويستطرد البروفيسور تلمون قائلا : « اعتقد أن هذا كان تطورا تدريجيا . فخلال الفترة الاولى بعد حرب الايام الستة ، أبلغ

حكومة الولايات المتحدة ، انه ليست لنا مطالب اقليمية . ليس هذا فقط ، بل سمعت في مستهل ربيع ١٩٧١ من وزير ذي نفوذ كبير « هو ابدا غير متساهل » ، انه لايوجد وزير لايدرك ان المصريين سينفجرون عاجلا او اجلا . وقال انهم لا يستطيعون الا ان ينفجروا عندما يجدون ان استمرار الوضع الراهن هو بمثابة قبول حكم ببقاء المناطق في يد اسرائيل الى الابد .

« ولكن يبدو أن الامور تغيرت بعد أن قمع حسين « المخربين » في شرق الاردن ورحل عبد الناصر عدو اسرائيل الاول ، وخرج الروس من مصر ، وبعد أن تغلبنا على الارهاب في كل مكان ، وتوقف الامريكيون عن مضايقتنا بمشروع روجرز ، فبدا أن البلد قد هدأ . وكنت تستطيع أن نسمع الى تصريحات بأنه قام في الحقيقة سلام واقعي . لا تبدوا ملاحظات ولا تثيروا ولا تخلقوا مشاكل بالمطالبة بالمفاوضات والمعاهدات المحتوية التي سنضطر فيها — في النهاية — الى التنازل عن القليل او الكثير . فالحدود الحالية جيدة جدا ، ولا يوجد ضغط حقيقي للانسحاب منها ، والمخاطرة التي ينطوي عليها الانسحاب كبيرة ، وحق اليهود في البلد بأسره لايقبل الاعتراض، وخطر اضمحلال الشباب اليهودي في الشتات آخذ في الازدياد ، وكل محاولة للتسوية والتنازل من جانبنا ستؤدي فقط الى تشجيع العرب على طلب المزيد حتى القضاء على اسرائيل . ان حالة اللاسلم واللاحرب تبدو لنا مثالية . نستطيع ان نستوطن كل مكان وبسرعة . ومعاذ الله أن تفوت هذه الفرصة التاريخية » .

لقد ظلت اسرائيل تنعم بالعمق الاستراتيجي الحقيقي لاول مرة في تاريخها وبالحدود الامنة — كما تراها — لمدة اكثر من ست سنوات . فهل حققت أملها في الامن والسلام ؟! . لقد اشتد فيها الصراع بينها وبين الدول العربية ثم هدأ . ولكنه لم يهدأ إلا للاستعداد والتأهب ، كما أنه لم يهدأ بينها وبين المقاومة الفلسطينية . الى أن جاء يوم ٦ اكتوبر ٧٣ نتقتحم القوات العربية في وضح النهار الحدود الامنة ويحطموا خط بارليف ويقضوا على خرافة « الجيش الذي لا يقهر » .

لقد خدر وهم الحدود الامنة بتحصيناتها القوية القيادة

الاسرائيليــة السياسـية والعسكرية على الســـواء ، فتصــور بعضهم انها الملجأ والملاذ ، وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب » . « لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر » . ولكن ، هل الحدود تمنح الامن ؟ ان التاريخ يثبت لنا ان الامن أو عدم الامن لا يتعلق بالحدود الامنة أو غير الامنة ، الطبيعية أو الصناعية ، المحصنة او المكشوفة ، انما يتعلق فقط بدوافع العدو . فاذا كان العدو مصمما – بسبب رغبته في رفع الظلم او حتى في ايقاع الظلم أو من خلال اليأس – على شن حرب ، فالحدود ليست هي التي تحدد له القرار بالانقضاض أو الامتناع عن ذلك . فان الحرب التكنولوجية العصرية تلغي فعالية الحواجز الطبيعية وتلك التي هي من صنع الانسان ، مثل قناة السويس وخط بارليف .

واذا كان بعض الاسرائيليين يؤمنون بالحدود الامنة ، فان البعض الاخر لا يؤمن بها في قرارة نفسه ، وانما يتخذها ذريعة للتوسع والاستيطان والضم . وكما يقول الجنرال متتياهو بيليد : « اننا لسنا بحاجة الى اتضاز « النظرية الامنية » كي يذكرونا بأن اسرائيل عاشت – خلال عشرين عاما – آمنة داخل حدود « غير آمنة » . عندما وضع على حدودها جيش صغير بالنسبة الى ذلك الجيش الذي احتفظ بالخطوط المحصنة عشية حرب يوم الغفران ، وان ذلك الامن الممتاز تحقق بميزانية صغيرة لم تتجاوز ١٢ في المائة من الدخل القومي . ان أمن اسرائيل ليس نصب أعين هؤلاء المنظرين الامنيين ، وانما ما يهمهم حقا هو احجامها الاقليمية » . واذا كان هذا القول يبدو متسرعا لانه جاء تاريخ ٧ – ١٢ – ٧٣ عقب الحرب بشهرين فقط ، الا ان بيليد عاد واكد خطأ نظرية الحدود الامنة فقد صرح في مقال نشرته صحيفة معاريف في أول يوليو ٧٦ ، بأن هذه النغمة كانت مجرد قناع تستتر وراءه القيادة الاسرائيلية لتبرير احتلالها للأراضي العربية وتبرير الاستيطان والضم . واضاف بيليد بأن نظرية ربط الامن بالقوة الغامضة للخطوط على مختلف انواعها ماتزال تزيف الفكر الاسرائيلي بالرغـــم من خيبة الامال التي واجهتها بعد حرب اكتوبر ، وقال ان الاعتقاد لايزال بأن نهر الاردن وانشاء المستوطنات هي خطوط دفاعية توهم بها القيادة الاسرائيلية الشعب الاسرائيلي كمبرر لتمسكها بالاراضي العربية التي تحتلها » .

واختتم حديثه بقوله « انه اذا امعنا النظر في سياسة اسرائيل الحالية نخرج بانطباع وهو أن الحكومة ليست مدركة للحقيقة القائلة بأن الامن لا يمكن أن يقوم على نظرية الخطوط » .

وليس ادل على اطماع اسرائيل هذه تحت شعار الخطر الوهمي الذي كان يتهددها قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ من قول ايجال الون في اغسطس ١٩٦٩ « ان الحدود الامنة دون سلام افضل من السلام دون حدود آمنة . ان طبوغرافية اسرائيل الحالية - بعد يونيو ١٩٦٧ - تجعل من الممكن وضع حدود طبيعية يتكون منها « حائط دفاعي » يمكن ان يكون عاملا رادعا بذاته او يحسن على الاقل من قدرة اسرائيل الدفاعية بدرجة كبيرة . وعليه فانه في ظل الظروف الجغرافية السياسية والظروف الجغرافية العسكرية السائدة في الشرق الاوسط ، لا يوجد بديل عن الحدود الامنة استراتيجيا ، واذا كانت اسرائيل تريد أن تبقى فعليها أن تطالب بحدود آمنة في المناطق التي جعلتها قبل يونيو ١٩٦٧ معرضة للخطر بصورة بائسة » .

كما لا يمكننا ان ننسى تصريحات الرجل الذي كان يسيطر على اسرائيل ، والذي كان يملي جميع خطواتها السياسية والعسكرية في الفترة بين حربي ٦٧ ، ٧٣ وهو موشي ديان ، وزير الدفاع الاسرائيلي السابق : « شرم الشيخ افضل من السلام ، وفقط بحراب جيش الدفاع الاسرائيلي يستطيع اليهود والعرب العيش بسلام » .

الدفاع الثابت

ولما كانت الحدود الجديدة « الامنة » طويلة وبعيدة عن مراكز تجمع السكان حيث يعيش جنود الجيش الاحتياطي ، فقد كان من الضروري للاستراتيجية الاسرائيلية أن تتبنى اسلوب « الدفاع الثابت » وتنشيء تحصينات خط بارليف والجولان ، حتى يمكنها أن توفق بين اعتبارات الجيش النظامي الصغير التي تفرضها ضرورات اقتصادية وبين المهام الصعبة للدفاع عن حدود طويلة بأسلوب الدفاع المرن الذي يتطلب حشد قوات مدرعة وميكانيكية كبيرة نسبيا في نقاط تجمع في العمق القريب من الخطوط الامامية التي لن تضم في مثل هذه الحالة سوى نقط انذار وعوائق هندسية فقط .

التخلي عن فكرة الحرب الوقائية :

وفي النتيجة ، ادت التطورات الاستراتيجية الجديدة التي ترتبت عن مبدأ « الحدود الآمنة » واسلوب « الدفاع الثابت » المرتبط بهما الى ترجيح فكرة قبول الضربة الاولى المحتملة من جانب العرب والتخلي عن فكره « الحرب الوقائية » أو « الضربة المسبقة » . خاصة وانه صار من الصعب كسب المناورة السياسية الخارجية واقناع الرأى العام العالمي هذه المرة على اساس تجسيد فكرة « خطر الابادة » الذي يهدد كيانها كما كان الحال عشية حرب ١٩٦٧ . نظرا لان ذلك يتعارض في حد ذاته مع جوهر مبدأ الحدود الامنة التي تضمن سلامة وأمن اسرائيل دون حاجة الى الضربة المسبقة ، كما يرجع قبول اسرائيل تلقي الضربة الاولى الى أن العمق الاسرائيلي المحقق نتيجة توسعات ١٩٦٧ يسمح بامتصاصها بواسطة القوات النظامية العاملة والتحصينات الدفاعية القوية وقوة النيران العظيمة التي يوفرها الطيران . الذي يعد بمثابة احتياطي ضارب متوفر دائما ، بحكم انه لا يتطلب تعبئة فعلية وان قوته الرئيسية كلها عاملة ، وانه قادر على المناورة السريعة من جهة لاخرى ، ومن ثم يمكنه أن يعوض النقص الكمي في قوة نيران القوات البرية النظامية لحين استدعاء الاحتياطي وحشده في جبهات القتال .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد اعتمدت القيادة الاسرائيلية على امكانية حصولها على انذار مبكر من جهاز المخابرات في حالة وجود حشود أو تحركات عسكرية عربية ترجح احتمال وقوع هجوم مفاجيء . وبذلك يتوفر لها فاصل زمني ملائم لاستدعاء الاحتياطي في توقيت مناسب ، كما يتاح لها الخيار في توجيه ضربة جوية مسبقة تحبط أو تقلل من فاعلية الهجوم العربي المحتمل . ومن ثم تعمل النظرية الامنية في صورتها المعدلة الجديدة بطريقة سليمة فعالة الاثر مع اقل قدر ممكن من الخلل .

الا أن هذه التحفظات التي هدفت الى التقليل من سلبيات الاستراتيجية الدفاعية الجديدة لم تلغ التناقضات التي أصبحت قائمة بينها وبين استراتيجية العمليات ذات الطابع الهجومي البحت

التي بقي الجيش الاسرائيلي منظما على أساسها كما كان عليه الحال عشية حرب ١٩٦٧ ، وكذا بين التغيرات التى طرأت نتيجة حرب يونيو ٦٧ والتى سبق الاشارة اليها . ولم تفطن القيادة الاسرائيلية السياسية والعسكرية الى خطورة هذه التناقضات التى نورد أهمها فيما يلي :

١ ـ استمر تنظيم الجيش الاسرائيلي على أساس الجيش العامل الصغير الذى يتألف اساسا من المدرعات والمظليين وقليل من المشاة والمدفعية ، والذى ستلحق به قوات الاحتياط ذات الشكل المماثل تقريبا (باستثناء ان نسبة الوية المشاة تزيد بعض الشيء به) لتقوم بتوجيه الضربة المضادة الحاسمة التى تنهى الحرب بسرعة خاطفة : على حين أن الاخذ بهذا الموقف الاستراتيجي الدفاعي كان يتطلب ضرورة زيادة حجم الجيش العامل وزيادة نسبة الوية المشاه والمدفعية لديه لضمان الحد اللازم من حماية خطوط الدفاع الثابتة التي يجب أن تساندها وحدات متحركة في العمق .

٢ ـ ان مذهب العمق الاستراتيجي وضعف شبكة الطرق في سيناء متناقض تماما مع مذهب الخطوط الداخلية القصيرة . وبالتالي مع الجيش العامل الصغير وسرعة وصول قوات الاحتياط الى الخطوط الامامية لنجدته .

٣ ـ ان زيادة طول الحدود واختلاف طبيعتها وتحول معظمها الى حدود مائية من شأنه ان يعكس ردود فعل استراتيجية جوهريه على طبيعة تكوين القوات المسلحة الاسرائيلية ربما لم تكن قد تهيأت لها من قبل .

٤ ـ ان اختفاء نظامها الدفاعي ـ الذى قضت أكثر من عشرين عاما في وضعه وتحسينه بعد أن أصبح هذا النظام غارقا في العمق بعيدا عن الخطوط الحالية المعرضة ـ قد أدى الى افساد نظرية التمسك بالارض عند الحدود بنظام المستعمرات الدفاعية وانهيار نظرية « السيف والمحراث » . أى القتال بيد والانتاج باليد الاخرى .

٥ ـ أصبح نظام التعبئة الدقيق ، الذى كانت تفاخر به اسرائيل ، لا يفي بمطالب الوضع الاستراتيجي الجديد ، بعد أن هبطت مقومات التعبئة السريعة والحشد المفاجيء في التوقيت المناسب ، وبعد أن

طالت خطوط المواصلات وقلت الطرق فى المناطق الجديدة ، واضطر جبل الجليد العائم الذى يختفى معظمه تحت الماء ان يقلب وضعه ، فيطفو معظمه ويختفي اقله وهذا يتطلب بالضرورة نوعا من التعبئة الجزئية الدائمة .

٦ ـ أصبح لزاما على اسرائيل أن تحتفظ بقوات كبيرة الحجم على كافة الاتجاهات وفى عمق الاراضى الشاسعة التى تحتلها ، وهو الامر الذى كانت ظروف الاستراتيجية السابقة تعفيها من تحمل أعبائه الثقيلة ، وتشكل لها أحد دعائم القوة . وعلى سبيل المثال ، فبعد ان كان تأمين الحدود الجنوبية لا يستدعى الاحتفاظ بأكثر من لواء واحد عامل وبعض الكتائب المستقله ، معتمدة فى ذلك على وجود المستعمرات الدفاعية وعناصر الناحال وحرس الحدود ، اصبحت تحتفظ فى شبه جزيرة سيناء بعدة الوية مدرعة ومشاه ميكانيكية تساندها عناصر الدعم والمعاونة اللازمة ، علاوة على قوة جوية كافية ، وعناصر بحرية مناسبة .

٧ ـ بعد أن كان الحشد يتم لفترة محدودة تنتهى بمجرد انتهاء الحرب القصيرة ، وبعدها يبدأ تسريح الاحتياط ، أصبح هذا الحشد ـ وإن كان جزئيا ـ وضعا قائما وحقيقة مستمرة . وهو فضلا عما يحمله لاسرائيل من أعباء مالية ، فانه دون شك يؤثر على قوتها الانتاجية ، وإن حاولت أن تعوض ذلك بفضل ما يأتيها من مساعدات وهبات مالية وما تستنزفه من الثروات الطبيعية للمناطق التى احتلتها من موارد بترولية وخامات تعدينية وغيرهما من محاصيل زراعية .

٨ ـ اصبحت الحرب الوقائية غير ذات موضوع بعد ان وصلت الى طريق يكاد يكون مسدودا ، كما سبق أن اوضحنا . أضف الى ذلك انه نظرا لكون سيناء لم تعد تشكل مجالا للانذار ـ كما كانت قبل يونيو ٦٧ ـ حيث أن القرب المباشر بين القوتين المتحاربتين [حوالى ٢٠٠ متر وهو عرض قناة السويس] اعطت المصريين امكانية اكبر لتحقيق المفاجأة رغم أن حشد واعادة تمركز القوات وتحريك الكثير من المعدات ، وخاصة معدات العبور الثقيلة والضخمة وتكديس الذخائر والامدادات ليس من الممكن اخفاؤه ، وخاصة فى الاراضى الصحراوية المكشوفة مثل جبهة قناة السويس ، وعلى الاخص وان

اسرائيل تتمتع بالتفوق الجوى وان القوات المصرية كانت تجرى أعمال اعادة التجميع وتحريك القوات تحت سمع وبصر العدو .

ان حجم القوات المصريه الضخمه التى كانت تدافع عن القناة قبل حرب اكتوبر ٧٣ وتعود الاسرائيليين على المناورات الحربية والمشروعات التدريبيه العديدة التى كانت تقوم بها القوات المصرية - فضلا عن قرب المسافة بين المتحاربين كما ذكرنا - جعل وعد رئيس شعبة المخابرات العسكرية الاسرائيلية باعطاء انذار مسبق حول نية العدو قبل بدء الحرب امرا غير ذى موضوع وعلى غير أساس . وكما يقول تقرير لجنة اجرانات : « لقد وثق رئيس الاركان بصورة مبالغ فيها بأنه سيحصل دائما على انذار لتعبئة الاحتياط خلال وقت كاف ، حتى لو كان اقصر من المخطط له . هذا بالاضافة الى الثقة المبالغ فيها بقدرة الجيش الاسرائيلى على ان يصد - فى كل الظروف - هجوما شاملا للعدو على الجبهتين ، بواسطة القوات النظامية فقط ، وكذا بقدرة الجيش الاسرائيلى - وهو بكامل تعبئته ، على التأهب للدفاع ، والانتقال بسرعة كبيرة الى الهجوم المضاد الواسع النطاق ، كشرط لدفاع فعال عن الدولة » .

وكما يقول اللواء « احتياط » اسرائيل تال : « يحتفظ العدو بجيوش نظامية على طول حدودنا ، وهو بهذا لايحتاج الى مهلة كى يعبئها . وعلى ذلك ، فهو اقل منا تعرضا للمفاجأة » .

وكما يقول ايضا مؤلفا كتاب « الجيش الاسرائيلى » : « ان أكفأ جهاز للمخابرات كان لايستطيع اعطاء انذار مثمر لاسرائيل فى اكتوبر ١٩٧٣ ، حيث ان الجيشين المصرى والسورى كانا مستعدين للهجوم منذ وقت طويل . اما اللمسات الاخيرة للهجوم ، فان كشفها كان يحقق ، فى افضل الاوقات ، عدة ساعات انذار لاسرائيل وهى غير كافية للتعبئة بطبيعة الحال » .

٩ - أما عن تلك الحرب الخاطفة ، حرب الساعات والايام ، فلم يعد لها وجود فى ظروف مابعد يونيو ١٩٦٧ سواء بسبب تبنى اسرائيل أسلوب الدفاع الثابت واقامة التحصينات الدفاعية ، أم بسبب عمق سيناء المطلوب تحريرها وما يتطلبه ذلك من جهد ووقت وقتال مرير ، أم بسبب تزايد القوة العسكرية لدولتى المواجهة والمقاومة الفلسطينية .

ان جميع ظروف اسرائيل السياسية [ضرورة سرعة انهاء الحرب قبل ظهور ردود فعل المجتمع الدولي وخاصة الدولتين الاعظم ، ومحاولة فرض وقف القتال بواسطة مجلس الامن قبل أن يحقق العدوان أهدافه) ، والاقتصادية (نظرا لحقيقة القدرات المادية والبشرية المحدودة لاسرائيل وعجزها عن خوض حرب طويلة الامد] ، والعسكرية [التي تحتم تحقيق هدف الحرب قبل ان تتمكن الدول العربية من التجمع والتدخل] . ان جميع هذه الظروف كانت تحتم تمسك اسرائيل باستراتيجية الحرب الخاطفة . ولكنها بتمسكها بالحدود الامنة ، والدفاع الثابت ، وسياسة التوسع تخلت طواعية ومرغمة عن شكل الحرب الذي يناسبها . ولا شك أن هذا التحول عكس اوضاعا غير طبيعية على اسرائيل ، اذ انه يتعارض مع حقيقة امكانياتها وقدراتها وطاقاتها الاقتصادية والبشرية .

١٠ ـ ان التفوق النوعي الذي زعمته اسرائيل والذي اعتبرته حلا لمشكلة « قليلون مقابل كثيرين » منذ حرب ١٩٤٨ كان في الحقيقة تفوقا كميا طوال الحروب السابقة لحرب ١٩٧٣ . ذلك لان أخذ الجيش الاسرائيلي للمبادرة الهجومية كان يتيح له ـ عقب استكمال التعبئة العامة ـ احراز تفوق كمي على جيوش دول المواجهة العربية في كل مرة خاصة في اتجاه المجهود الرئيسي . ويكفي أن نوضح أن اسرائيل حققت تفوقا عاما في سيناء عام ١٩٥٦ بلغ مقداره : في المشاه ٤ : ١ ، وفي المدرعات والمدفعية ١٠ : ١ ، بل لقد بلغ التفوق الاسرائيلي في اتجاه المجهود الرئيسي وهو اتجاه العوجة ـ أم قطف ـ أبو عجيلة : في المشاه ٤٫٥ : ١ ، وفي المدفعية ١٢ : ١ أما في المدرعات فلم يكن هناك مجال للمقارنة حيث حشدت اسرائيل ست كتائب دبابات امام لادبابة للمصريين .. هذا فضلا عن السيطرة الجوية المطلقة لاسرائيل . ورغم هذا كله فلم تستطع مجموعة العمليات رقم ٣٨ المكونة من لواءين مدرعين ولواء مشاة بخلاف وسائل الدعم أن تتغلب على لواء مشاه مصري واحد لا يملك دبابة واحدة ولم تستطع قوات المجموعة دخول أبو عجيلة الا بعد أن انسحبت قواتها تنفيذا لامر الانسحاب العام الذى أصدرته القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية لمقابلة الغزو الانجليزى الفرنسى مما

حدا بموشي ديان ان يعزل قائد المجموعة نتيجة فشله . والامثلة كثيرة ولكن المجال لا يتسع لذلك .

لقد كتبت دافار فى افتتاحيتها فى ذكرى مرور عامين على حرب أكتوبر تقول :

« ان حرب إكتوبر فتحت عيون معظم الاسرائيليين ، لكى يروا الواقع كما هو ، ومكانهم فيه ، وقد حررتهم من الاحساس بالتفوق ـ الذى لم يكن واقعيا ـ واعادتهم الى ادراك الابعاد الحقيقية لقوتنا دون الاستخفاف بها ، وعلمت الشعب الحذر من اللامبالاة ، واقنعت معظم الاسرائيليين بالحاجة الى المجازفة من أجل تسوية النزاع والحيلولة دون نشوب حرب فى المستقبل » .

١١ ـ اما عن قدرة اسرائيل على الردع والذى كان ولا يزال يشكل فى مفهومها العنصر الاساسى فى نظرية الامن الاسرائيلى ، فان المعلقين الاسرائيليين انفسهم توصلوا الى اقتناع بأن اسرائيل لم تملك فى الحقيقة قوة رادعة . وعلى سبيل المثال ، قال يوسف دوريئيل مؤلف كتاب « أمن اسرائيل القومى » « دار كلام كثير جدا فى دولة اسرائيل عن وسائل ردع العدو عن مهاجمتنا . ولكن لم يكن أبدا وراء هذا الكلام تفكير جدى ، والا كيف يمكن أن نفهم ما حدث لقدرتنا على الردع التى وصلت خلال جيل واحد الى الحضيض . الامر الذى جعلنا نخوض حروبا لم نكن نرغب فيها » .

لقد كان ديان ومعاونوه يعتقدون ان القوات النظامية العاملة فى سيناء بالاشتراك مع القوات الجوية كافية لافشال اى هجوم مصرى . ولم تكن استراتيجية اسرائيل مبنية على الدفاع النشط الايجابى للجبهات بل على « الردع » . ومن ثم قوات ذات حجم صغير فى سيناء والجولان . أن أى استراتيجية اضطرارية لابد وأن تدمج الدفاع والردع ، حيث انه لكى تدافع يتطلب الامر قوات ذات قدرة فى ذات نفسها على الردع ، كما انه لكى تردع يتطلب الامر قوات تمتلك ضمنا امكانيات الدفاع » . ولكن حدث ان سمح فى فترة ما بعد عام ١٩٧٠ بخفض درجة الاستعداد الدفاعية على الجبهات مع زيادة الاعتماد على الردع . لقد أصبح الايمان بقوة الردع للقوات المستعده « الجاهزة » البرية والجوية واضحا فى قرار عام

١٩٧٣ بتخفيض مدة الخدمة الالزامية من ٣٦ شهرا الى ٣٠ شهرا وكذا خفض مدة استدعاء الاحتياطي من معدل ١٩٦٨ ـ ١٩٧١ [٦٠ يوما وأكثر] الى معدل ما قبل عام ١٩٦٧ « حوالى الشهر » . ولقد كان لهذا السبب أساسا هو أن القوات التى كانت موجودة فى خط على جبهة السويس يوم ٦ أكتوبر قليلة .

وفى مثل هذا الموقف الذى يعتمد فيه بدرجة كبيرة وحرجة على الردع ، وخاصة مع هذا الدفاع الرقيق ، كان من المحتم ضمان توفير الظروف المطلوبة للردع الناجح لاى هجوم ... أى أن تكون القوات الجوية والمدرعات التى فى حالة استعداد قادرة على توجيه ضربات ساحقة حقا فى مرحلة مبكرة لاى هجوم عربى ... والا يعتقد المصريون انه حتى اى هزيمة جديدة افضل من الاسترخاء المستمر . وفى الواقع يعتبر هذان الشرطان الحد الادنى للردع . ولكن لم يتحقق منهما شيء . لقد كان فشل سياسة الردع الاسرائيلى بسبب حساب خاطىء مفجع . ان الثقة فى الردع لا تعنى عدم زيادة قوة الدفاع بصفة مؤقتة فى حالات التوتر . ولكن المزاج النفسى الرادع ـ الذى يعتمد فى هذه الحالة على الثقة المطلقة فى ضعف الجيوش العربية يميل الى مقاومة الشعور بالالحاح والمطالبة بالقيام بعمل عاجل لتقوية درجة الامان التى يوفرها دفاع نشط ايجابى عندما يزداد خطر الحرب أكثر من اللازم . وثقة بقوة الردع التى يمتلكها الجيش الاسرائيلى ، فان ديان ومعاونيه مالوا الى اهمال التحذيرات المشئومة والمنذرة بالسوء التى تتعارض مع توقعاتهم . وعلى ذلك تذرع ديان وقاوم الطلبات لدعم الجبهات ، ثم للتعبئة المبكرة ، وفى النهاية للتعبئة الكاملة .

وفوق ذلك ، دفع موقف ديان الحكومة الاسرائيلية لرفض المخرج الوحيد من مأزق « لا حرب وقائية » و « لا تعبئة بدون حرب » وهذا المخرج كان بطبيعة الحال تعبئة جزئية بصفة دائمة .

وعلى كل ، يجب أن نعترف أن ديان ومعاونيه لم يضعوا السياسة الدفاعية الاسرائيلية من فراغ ، ولم تكن قراراتهم نتيجة ايمان أعمى بالردع أو حتى « بنظرية الانهيار » . لقد كان ديان وزملاؤه ومعاونوه المدنيون والعسكريون جميعا أسرى جو الثقة الزائدة التى عمت المجتمع الاسرائيلى ، كما أنهم كانوا تحت ضغط الرأى العام

الذى يطالب بالحاح بمستوى أعلى من المعيشة . وخضوعا لهذه الطلبات الملحة وتحت خداع هدوء الموقف على الحدود عقب وقف اطلاق النيران عام ١٩٧٠ تراجعت الحكومة الاسرائيلية ووافقت على تخفيض الاعباء البشرية والمالية الخاصة بالدفاع . لقد بلغت نفقات الدفاع عام ١٩٧٠ ، ٢٦ فى المائة من الدخل القومى أو ٤٨٣ دولارا لكل فرد (أعلى رقم فى العالم تقريبا) ثم انخفض هذا الرقم فى عام ١٩٧٣ الى ٢٠ فى المائة [انخفضت النفقات العسكرية من ٤٢٫٧ فى المائة من جملة الانفاق الحكومى عام ١٩٧٠ الى اقل من ٣٢ فى المائة فى السنة المالية ١٩٧٢ ــ ١٩٧٣] وفى داخل ميزانية الدفاع تحول التركيز من الانفاق على القوات المنيسرة فعلا الى شراء اسلحة للمستقبل .

ان الردع أرخص من الدفاع وخاصة فى المجال الحرج بالنسبة لاسرائيل . . . مجال القوة البشرية . ولما كان الاقتصاد الاسرائيلى يعانى من النقص المستمر فى القوى البشرية المؤهلة ، فان التخفيض الحاد فى مدة الاستدعاء السنوى للاحتياط بنسبة ٥٠ فى المائة أحدث تأثيرا مباشرا ومفيدا على مستوى الانتاج والتصدير . ولقد امتص الاقتصاد المدنى جزءا من الموارد التى توفرت نتيجه التحول الى استراتيجية (ردع اكبر ودفاع أقل) ، كما أعيد توجيه جزء اخر داخل المؤسسات العسكرية . لقد كان على ديان ومعاونيه أن يختاروا بين احتياجات الدفاع الجارى وبين احتياجات الامن على المدى الطويل . اى الاحتفاظ بقوات أقل على الجبهات وتوفير اموال ورجال للمجتمع المدنى ، وكذا لتطوير وانتاج الاسلحة أيضا . ومن الواضح أن الاكتفاء الذاتى فى المعدات كان مفتاح الامن على المدى الطويل . وكان على مخططى الدفاع الاسرائيلى أن يختاروا بين احتياجات المستقبل واحتياجات الجيش فى الميدان .

وبالرغم من انه ليس هناك ارقام رسمية الا أن الاستثمار فى برنامج الاكتفاء الذاتى كان كبيرا جدا ، وحسب ما جاء فى الصحافة عام ٧٣ ، فان اسرائيل كانت على وشك انتاج المقاتلات النفاثة « البراق » ودبابات القتال ذات التصميم المحلى ، بينما كانت تنتج كثيرا من الاسلحة الجديدة بما فى ذلك

الهاوتزر ذاتى الحركة « سولتام ل ـ ٢٣ » وهو تعديل للمدفع ١٥٥ مم ، والبندقية الالية « جليل » ، والمقذوف جو ـ جو « شافرير » ، والصواريخ « ربشيف » التى تطلق من الزوارق . وفى الواقع ، فان اسرائيل ـ عندما اندلعت حرب أكتوبر ـ كانت تنتج اسلحة متعددة من اسلحة المدفعية والمشاه ، ومن الصواريخ ودبابات القتال أكثر من اى دولة فى العالم بخلاف السويد والدول الكبرى . لقد كان الاستثمار فى الالات المتخصصة واستيراد الخبره ، والبحث والتطوير ، والبناء والتشييد واسعا وشاملا . وبحلول عام ١٩٧٢ كانت شبكه مؤسسات البحث والمصانع الحربية الاسرائيلية منهمكة على نطاق واسع يشمل المجال كله من الطبيعة النوويه الى الهندسة الميكانيكية . ولا شك ان احتياجات المستقبل كانت على حساب ضرورات الحاضر . ولم يقتصر الامر على تخفيض قوات الجيش ، ولكن خفضت تكديسات الذخيرة وقطع الغيار على افتراض ان الحرب لن تطول ولن تزيد عن بضعة أيام من القتال الفعلى الذى لم يكون قتالا مريرا على الاطلاق . وقد كانت المبالغ المدخره نتيجة هذه السياسه كبيرة جدا . ولكن الخطر كان أيضا كبيرا جدا وتجسد وأصبح حقيقة واقعة الى حد بعيد فى حرب أكتوبر . وعند بدء الجسر الجوى الامريكى ، كان الجيش الاسرائيلى يفتقر الى انواع كثيرة من الذخيرة ومعدات الطائرات .

هل تملك اسرائيل قوة ردع حقيقية ؟

ان السياسة الامنية الحقه التى تمنع الحرب وفى الوقت نفسه تضمن النصر فى حالة اندلاع القتال لابد وان تعتمد على قوة حقيقية لا شك فيها . ولكى يكتمل مفهوم الردع يجب أن يعرف الخصم تلك القوة الحقيقية التى تمكن من تحقيق النصر ، وان يثق فى امكان استخدامها ، اى تكون ذات **مصداقية** .

ولكن احداث حرب اكتوبر وما بعدها ، أظهرت ان الجيش الاسرائيلى ، وان كان يتمتع فعلا بقوة عسكرية كبيرة ، الا انه لا يشكل رادعا لعمل عسكرى عربى . ان سياسة الردع لا تصلح فى حالة اغتصاب اراضى أو حقوق الغير ، ان الردع يعنى منع العدو من القيام بعمل ما ، والاغتصاب يحتم القيام بعمل لاسترداد ما اغتصب

.. ومن هنا يأتى التعارض والتناقض وبالتالى يسقط مفهوم الردع .

كما ان تخلى اسرائيل عن توجيه الضربة الاولى وتمسكها بمبدأ الحدود الامنة والدفاع الثابت يعكسان أيضا عدم قدرة الجيش الاسرائيلى على أن يكون قوة رادعة . أضف الى ذلك أن القتال لم يتوقف بين العرب واسرائيل طوال الاعوام الستة بين عامى ٦٧ ، ٧٣ كما سبق أن ذكرنا . وكما يقول دوروئيل :

« ان التفسير الوحيد لاستمرار سياسة الردع الاسرائيلية ، على الرغم من فشلها فى حرب ٧٣ هو أن مفهوم الردع الاسرائيلى قد يكون قد تغير . أى ان الهدف الاساسى للردع قد أصبح ، بعد تلك الحرب ، اقناع العرب بعدم قدرتهم على تحقيق أهدافهم باستخدام القوة العسكرية . وبمعنى آخر ، ان هدف الردع الاسرائيلى حاليا هو منع العرب من المبادرة الى شن الحرب ، ليس لان ذلك سيؤدى الى دمار الجيوش العربية والاقتصاد العربى ، بل لان تلك المبادرة لن تحقق أيا من أهدافها العسكرية » .

ويشير دوريئيل الى التخبط فى مفهوم نظرية الردع فيقول :

« ان أفدح تفسير لصانعى السياسة الامنية الاسرائيلية لا يزال يكمن حتى اليوم فى انعدام أى محاولة لاعداد مذهب أمنى بوسائل مهنية تلائم ذلك » .

ويقول « درو ميدلتون » المعلق العسكرى لنيويورك تايمز فى مارس ١٩٧٤ :

« ان الجولة التى قمت بها لمدة ثلاثة اسابيع فى مناطق القتال ومئات الاحاديث مع الجنود والطيارين العرب والاسرائيليين ، ومع الملحقين الحربيين والجويين فى عواصم الشرق الاوسط أجبرت المرء على أن يقرر أن قوة اسرائيل لم تعد كبيرة بالدرجة التى تردع العرب عن استئناف الحرب » .

ويمكننا أن نخلص من كل هذه التناقضات ان السبب فيها هو أن نظرية الامن الاسرائيلية كانت وليدة ظروف اسرائيل ضمن حدود ما

قبل ٥ يونيو ٦٧ ، وهي لا تعمل الا بتكامل عناصرها جميعا ... تلك العناصر التي كانت وليدة هذه الظروف ، وانها لم تنجح الا ضمن ظروف استراتيجية معينة احاطت بالارادات العربية .

فمثلا ، بدون انذار مبكر ، وبدون تعبئة حسب المخطط ، ودون تفوق جوى لا يمكن الاعتماد على نظرية الدفاع الثابت بقوات عاملة صغيرة وجيش احتياطي كبير مع التخلي عن الضربة المسبقة ... وهذا ما حدث في اكتوبر ١٩٧٣ .

كذلك بعد اكتمال التعبئة وحشد الاحتياطي ونتيجة للحرب على جبهتين في آن واحد وصمود الجيشين المصرى والسورى في حرب أكتوبر لم تستطع القيادة الاسرائيلية ان تكرر اساليب الحرب الخاطفة التي تعودت عليها بنجاح في حرب ٦٧ ، واضطرت الى خوض معارك طاحنة بطيئة الايقاع غير حاسمة على كلا الجانبين .. وكانت النتيجة انهيارا كاملا لمبدأ « الحرب القصيره » او « الحرب الخاطفة » مما ترتب عليه انهيار مبدأ « الاعتماد على القوة الذاتية » ، واضطرت القيادة الاسرائيليه ان تلح على سرعة امداد الولايات المتحدة لها بالسلاح والذخيرة والمعدات الالكترونية وقطع الغيار ، حيث ان مخزونها الاستراتيجي لم يكن متناسبا مع الحرب الطويلة نوعا .

وهنا يتبين التناقض الكامل بين الطابع الدفاعى للعقيدة الجديدة [الحدود الامنة والدفاع الثابت ، وبين الطابع الهجومى الخاطف لاستراتيجية العمليات التي يعتنقها الجيش الاسرائيلى منذ بدء انشائه والمنظم والمسلح والمدرب على اساسها .

ان الروح الهجومية المتحفزة لدى الاسرائيليين قبل حرب ٦٧ ، والتي شكلتها بصورة اساسية اسطورة خطر الابادة التي روجتها الدعاية الصهيونية كانت عنصرا وحافزا معنويا ضخما للافراد المنفذين وللقيادات المخططه للحرب . ان الجيش الاسرائيلى كان اشبه بنابض « ياى » مضغوط يستند الى عمق ضحل وقوة بشرية قليلة واقتصاد ضعيف ، فكان لابد وان يكون هذا « النابض » المضغوط مستعدا دائما للانفتاح عندما تحين ساعة الاختبار

والضرب بكل الطاقة الكامنة فيه . فلما انتفى خطر الابادة - ولو الى حين - ضعف الحافز وحل محله الاسترخاء .

يقول الدكتور قدرى حفنى : « ان الموقف الامثل لازدهار التكوين السيكولوجى الاشكنازى الاسرائيلى هو الموقف الذى يتضمن تهديدا محدودا وأمنا مضمونا . ولو اختل أى من جانبى هذه المعادلة الدقيقة بذلت كل الجهود لاعادة التوازن اليها من جديد . وتتحقق المحافظة على هذا التوازن من خلال أمرين :

١ - تأكيد وجود التهديد العربى لاسرائيل ، وابراز ذلك التهديد عمليا واعلاميا ، مع المحافظة - فى نفس الوقت - على بقائه فى حدود معينة لايتجاوزها او يتعداها .

٢ - تأكيد التفوق العسكرى الاسرائيلى الحاسم ، وابراز صورة الجيش الاسرائيلى الذى لايقهر ، وذلك من خلال الاهتمام الفعلى بالتسليح من ناحية وكذا الاهتمام بأبراز الانتصارات الاسرائيلية المتكررة على العرب من ناحية أخرى .

ولقد حدث بالفعل ان اختلت تلك المعادلة مرتين ، ولكن بصورتين مختلفتين . اختلت فى الاولى بخفوت « اضمحلال » التهديد العربى لاسرائيل اثر حرب يونيه ٦٧ ، واختلت فى الثانية باهتزاز التفوق الاسرائيلى اثر حرب اكتوبر ٧٣ . وفى كلتا المرتين تكثفت الجهود الاسرائيلية والصهيونية لاستعادة التوازن المطلوب .

نعم لقد اختلت المعادلة وخفت التهديد العربى لاسرائيل اثر حرب ١٩٦٧ عن حده المرسوم ، فكانت الاستجابة التلقائية المباشرة غير المخططة لدرجة أن احجم الجنود والضباط الاسرائيليون عن ابداء الفرحة بالانتصار . فالانتصار الضخم يعنى انتفاء التهديد وبالتالى انتفاء الاضطهاد . واذا ما انتفى الشعور الاشكنازى بالاضطهاد اختلت تركيبته السيكولوجية وكاد معين عدوانتيه ان ينضب . .

ورغم المحاولات العديدة لاعادة التوازن الى المعادلة من جديد ، الا أنه سرعان ما تسلط الغرور وروح اللامبالاه والعناد والغطرسة

على القيادتين السياسية والعسكرية ، ثم تفشت تدريجيا لتعم التجمع الاسرائيلي كله . وركبت القيادتان راسيهما ورفضتا أي تفاهم أو منطق ، كما لم يحاولا اعادة النظر في نظرية الامن الاسرائيلي لتناسب الظروف الجديدة وانحصر تفكيرهما في التوسع وبناء المستوطنات ورفض الانسحاب ، وارتفعت شعارات « حتى ولا شبر واحد » . « من حقنا البقاء في المناطق الى الابد » .. « من واجبنا استيطان كل مكان » .

وساعد على ذلك الحرب النفسية الاسرائيلية التي وجدت فرصتها الذهبية في الهزيمة العربية الجسيمة عام ١٩٦٧ والذى انطلق دعاتها ـ كما يقول الاستاذ السيد ياسين ـ يحللون أسباب الهزيمة ويردونها الى ما اطلقوا عليه « العيوب الجسيمة في الشخصية العربية » ، والتي تتميز ـ من وجهة نظرهم ـ بالفردية ، والاتجاه السلبي نحو الحقيقة والواقع . لقد حاولت الحرب النفسية الاسرائيلية التى وجهت بصورة شاملة ضد الامة العربية ان تبعث اليأس المميت في نفوس العرب ، مصورة لهم ان شخصيتهم القومية تزخر بعديد من السمات السلبية الغريزية التى لن يستطيعوا البرء منها الا بعد اجيال واجيال من السنين .

وكان الهدف الجوهرى من هذه الحملة كلها ـ التى نجحت اسرائيل في اقناع الدول الغربية والراى العام الغربي بها ـ اثبات أن العرب عاجزون عن شن أى حرب ضد اسرائيل ، وان مصيرهم هو الاستسلام لارادة اسرائيل المطلقة ، حتى ولو انكروا ذلك بألسنتهم .

وصدق الشعب والجيش الاسرائيليان ، بل والقيادات الاسرائيلية نفسها ، هذه الفرية وهذا التضليل حتى خدرتهم ، واتاحت الفرصة لتضخم الذات الاسرائيلية ، الى أن ايقظتهم حرب أكتوبر فصححت الميزان ، واعادت اسرائيل الى حجمها الطبيعي من غير تهوين أو تهويل .. واختلت المعادلة من جديد .

الفصل الثالث

النظرية والاستراتيجية عقب حرب أكتوبر ٧٣

سبق ان ذكرنا أن الاتهام الذى غالبا ما يوجه الى القادة العسكريين هو الاعداد للحرب المقبلة على نفس الاسلوب الذى كان فى الحرب السابقة التى خاضوها . ورغم ان الحروب السابقة لم تعد المصدر الرئيسى أو على الاقل الوحيد لتطور العلم العسكرى الا أن حرب أكتوبر انفردت من بين جميع الحروب المحلية الحديثة بأنها احدثت انقلابا بل ثورة فى النظريات والمفاهيم العسكرية . ان حصر نتائج هذا العمل البطولى هو مسئولية سوف يضطلع بهاولا شك التاريخ وسوف يستغرق حصرها وتحليلها وتدوينهاوقتا ليس بالقليل . وحسبنا الان ان نذكر ان هذا العمل العظيم قد غير الخريطة التى اراد البعض فرضها على هذه المنطقة من العالم واصبحت « الاسطورة » التى زودت بكل انواع السلاح الحديث والمتطور وبكل معاونة اقتصادية وتأييد سياسى لتكون اداه ضغط وقهر للمنطقة .. اصبحت خلال أيام قلائل ـ تحت وطأة الضربات العربية ـ فى حاجة الى من يدفع عنها المصير الذى ينتظر كل المعتدين . وبذلك حطمت قواتنا المسلحة العربية نظرية الامن الاسرائيلى التى ارادت بها الصهيونية العالمية ان تكرس احتلالها لاراضينا وانتهاكها لكل الموازين الدولية وعبثها بغير حدود فى قلب الامة العربية .

وجها المرآه

ان ثمار النصر لابد وأن تحمل فى طياتها بذور الهزيمة . لقد ثبت صحة هذا القول المأثور مرة أخرى خلال الجولة العربية الاسرائيلية الرابعة .

لقد انتصرت اسرائيل على جيرانها العرب فى يونيو ٦٧ نصرا كبيرا نتيجة أربعة عوامل أساسية هى :

١ ـ أخطاء ارتكبتها القيادات العربية ... السياسية والعسكرية ، على مختلف مستوياتها ، سواء قبل الحرب او اثنائها . وكما يقول ليدل هارت ـ كما سبق ان ذكرنا ـ انه فى الحرب غالبا ما تتغير الموازين نتيجة اجبار العدو على ارتكاب الاخطاء أكثر مما تتغير نتيجة قتالنا بكفاءة » .

٢ - بقاء اسرائيل اسيرة مرض « الكلاوزتروفوبيا » « الرهبة والخوف من الاماكن الضيقة والمقفلة) لمدة عشرين عاما فضلا عن رغبتها فى التوسع والاستيطان والحاجة الى الشعور بالامن . كل هذا كان حافزا كبيرا لتحقيق النصر وتوسيع رقعة الارض التى تحتلها اسرائيل .

٣ - عقيـــدة واستراتيجيـــة عســكريتان سليمتان تتناسبان مع امكانيات اسرائيل البشرية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والجغرافية ، ثم تكتيك سليم أساسه الحرب الهجومية الخاطفة القصيرة وبناء معين للجيش بحيث يحقق هذا التكتيك ويتمشى مع هذه العقيدة وهذه الاستراتيجية .

ولقد كان للاداء الرائع الذى قامت به القوات المدرعة والقوات الجوية اللذان هما قوام قوات الدفاع الاسرائيلية السبب المباشر فى تحقيق نصر ١٩٦٧ .

٤ - معرفة دقيقة بنوايا وامكانيات أعدائها العرب وخاصة امكانياتهم العسكرية وعلاقاتهم ببعضهم البعض .

واذا أمعنا النظر جيدا نجد أن هزيمة اسرائيل فى أكتوبر ٧٣ وخاصة فى مرحلتها الاولى ترجع الى نفس الاربعة عوامل ولكن بشكل معكوس تماما ، حتى أنه يمكننا أن نشبه حربى ٦٧ ، ٧٣ بأنهما وجها مرآه .

١ - اخطاء ارتكبتها القيادات الاسرائيلية السياسية والعسكرية على مختلف مستوياتها ، كما سبق ان أوضحنا ، وكما أوضحت لجنة اجرانات . وكما صرح اخيرا الجنرال « شلوموجازيت » مدير مخ ع الحالى قائلا « أنا لست على ثقة من أن النجاح الذى حققه العرب يرجع أساسا لما فعلوه . . . وانما اعتقد أنه يرجع الى حد كبير لفشلنا » .

٢ - تخلص اسرائيل من عقـــدة مرض « الـــكلاوزتروفوبيا » وتحقيقها هذا الانتصار الساحق الذى أدخل الثقة المفرطة والشعور بالرضا الذاتى . . . وبالتالى الغرور والخيلاء واللامبالاة فى شعب وجيش اسرائيل . . . وليس هناك أخطر على الامم أو الافراد من مثل

٣ - خاصية « الجمود » التي تميز بها شخصية الاشكنازيم . ويقصد بالجمود - كما يقول الدكتور قدري حفني - عجز المرء عن التخلي عما تعوده واطمأن اليه من انواع السلوك والتصرفات حتى ولو كانت لم تعد تناسب الموقف. وتعد خاصية الجمود - وفقا لما اسفرت عنه كافة البحوث التي شملتها دراستنا بمثابة حلقة الوصل بين مختلف الخصائص الاخرى التي يتصف بها الاشكنازيم .

فها نحن نجد أنه بالرغم من تغير الظروف والاحوال بعد حرب يونيو ٦٧ عما كانت عليه قبله ، ورغم تبنيها عقيدة واستراتيجية مبنية على الحدود الامنة ، والدفاع الثابت ، وخطوط المواصلات الطويلة ، والاعتماد على الانذار المبكر ، والتعبئة السريعة ، والتخلي عن الضربة المسبقة . . . الخ ، الا انها تمسكت بنظام بنـــاء جيشها [جيش عامل صغير وجيش احتياطي كبير — والاعتماد الكامل تقريبا على القوات الجوية والمدرعات اللتين اعتبرتهما أسلحة النصر مهملة بذلك أسلحة اخرى وخاصة المشاه والمدفعية] ، مع ابقائها على الاسلوب الهجومي الذي لا يتمشى مع الدفاع الثابت . ويعتقد كثير من الخبراء العسكريين ان القوات الاسرائيلية كانت ستكون في وضع افضل بكثير لو شنت عليها حرب اكتوبر وهي على حدود ماقبل ١٩٦٧ . وفي هذه الحالة تكون ردود فعلها أسرع وأقوى ولبقيت لهذه القوات ميزاتها السابقة .

[يذكرني هذا التخبط بما اتبعناه نحن عشية ٥ يونيو ١٩٦٧ من أن الخطة « قاهر » المصدق عليها هي خطة دفاعية بحتة الا أن نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة أمر بفتح وانتشار قواته بشكل هجومي وبدون خطة على الاطلاق . وهذا يؤيد - مرة أخرى - تشبيه حربي ٦٧ ، ٧٣ بوجهي المرآه الذي ذكرناه] .

٤ - بالرغم من معرفة اسرائيل بأنواع الاسلحة التي لدى العرب وكمياتها بالتقريب وخواص معظمها الا أنهم لم يقدروا امكانيات وتأثير هذه الاسلحة على العمليات المقبلة، وخاصة الاسلحة م.ط ، م.د. كما انهم لم يستطيعوا أن يترجموا فيض المعلومات التي حصلوا عليها خاصة بالحشود العربية استعدادا للهجوم الى دلالاتهـــا المنطقية ونتيجتها الطبيعية . وحق عليهم القول « لقد رأوا ولكنهم لم يفهموا » .

ويرجع هذا الفشل الى تقديسهم « للمفهوم » الذى سبق الاشارة اليه ، وكذا لتهوينهم من قدرات خصومهم واستخفافهم بتهديداتهم .

ويحضرنى فى هذا المجال تصريح احد كبار الضباط الاسرائيليين الذى يقول فيه :

« لقد تعلمنا التواضع فى تقييم نوايا العدو . غير انه فى المستقبل سوف نأخذ فى اعتبارنا القدرات الضمنية لاية حشود عسكرية عربية مقبلة » .

كما سبق أن صرح الجنرال حاييم هيرتزوج فى ٢٤ ـ ١ ـ ٧٣ ـ « ان كارثتنا تمثلت فى عدم مبالاتنا ليس بالعدو فحسب ، بل بمبادىء العالم بأسره . لقد اعتقدنا اننا امهر من ان نهتم بهذه الامور .

« لقد كان من المتعارف عليه على اعلى المستويات أنه لا ينبغى علينا أن نلتفت الى التفاهات ولكن اصبح من الواضح اليوم ان اهمال هذه التفاهات كان من بين الاسباب الذى جلبت علينا الدمار » .

التطورات السياسية

والان ، ما هى التغيرات والتطورات التى حدثت فى اسرائيل بعد حرب اكتوبر ؟ لما كانت الاستراتيجية العسكرية خاضعة للسياسة وتتاثر بها ، كان لزاما علينا ان نبدأ بعرض الاثر العام لحرب اكتوبر عليها ، ثم الاثار السياسية بشكل محدد ، ثم ننتقل بعد ذلك الى الآثار العسكرية .

لم يكن هناك تغيير يذكر فى سياسة اسرائيل عقب الحرب مباشرة واقتصر الامر فقط على تغيير فى التكتيك والاسلوب وليس فى الاهداف ومضمونها . وقد يعزى ثبات واستقرار هذه السياسة جزئيا وقتئذ الى الادراك الجماعى لوضع اسرائيل الدولى ، وبالتالى الى عدد الخيارات المحدود أمامها .

ان اسرائيل ترى نفسها معزولة ومعرضة جغرافيا ، وبدون حلفاء يعتمد عليهم ، وانها تحتاج الى السلاح للدفاع عن نفسها سواء عن طريق الاستيراد او انتاجه محليا . كل هذا يؤثر فى

سياستها الامنية . وقد ثبت ذلك فى حرب أكتوبر . وتعتقد اسرائيل إنها كسبت نصرا [والذى كان يمكن أن يكون أكبر لولا تدخل القوتين الاعظم] وأن مفاهيمها الاستراتيجية سليمة وثبتت صحتها فى كل حروبها .

كما يرى كثير من الاسرائيليين أن فرض وقف اطلاق النار كان وسيلة لسلبهم نصرا كانوا يستحقونه وكانوا على وشك تحقيقه . لقد أحدث قبول اسرائيل وقف أطلاق النار تذمرا عاما بين كبار الضباط لإنه حرمهم من اتمام مهمة هزيمة الجيوش العربية . كما كان هناك قلق خاص بالسرعة التى تم بها وقف اطلاق النار .

لقد ساعد هذا الفهم على تفسير وتعليل السبب فى عدم التغير فى سياسة اسرائيل ، ولكن ما تغير فعلا هو وضع اسرائيل الدولى . لقد ادركت اسرائيل خطورة ازدياد عزلتها الدولية واعتمادها على امريكا مما اضطرها الى اجراء تعديلات تكتيكية وفكرية فى اسلوبها لتحقيق نفس أهدافها السياسية السابقة . وقد تؤدى هذه التعديلات ــ فى المدى الطويل ــ الى تغييرات فى مضمون ومحتويات سياستها وطبيعة أهدافها ، وهو الامر الذى يطالب به بعض المفكرين الاسرائيليين .

لقد اثبتت حرب اكتوبر لاسرائيل انها يجب أن تعتمد فقط على نفسها فى الدفاع عن نفسها ، وذلك بعد أن عدلت الولايات المتحدة ــ الحليف الحقيقى الوحيد والرئيسى لاسرائيل ــ من سياستها للحفاظ على مصالحها فى الشرق الاوسط وذلك بالاضافة الى موقف دول أوربا الغربية واليابان وخوفها من قيام الدول العربية بحظر توريد البترول لها . وفى نفس الوقت ، هناك ادراك عام فى اسرائيل أنها لا تستطيع أن تقف وحدها فى مواجهة أعدائها ، وأن هناك حاجة الى أصدقاء « وحلفاء » للتأييد المعنوى والسياسى والدعم الاقتصادى والعسكرى . ان البحث عن الاستقلال والاكتفاء الذاتى العسكرى مقيد ومحدد بحقيقة أن بعض المعدات العسكرية لايمكن انتاجها فى اسرائيل [بعض الطائرات ــ قنابل « سمارت » ــ بعض معدات واجهزة الحرب الاليكترونية ــ دبابات القتال الرئيسية] رغم أن هناك جهودا مكثفة تبذل لانتاجها محليا .

ان هذا الادراك اضطر اسرائيل الى قبول المخاطرة فى السعى نحو السلم على أن يكون ذلك عبر مراحل بدلا من الوصول اليه مرة واحدة . أن سياسة اسرائيل المبنية على مبدأ التأهب المطلق ونظرية القوة الشاملة تفترض اتخاذ وضع هجومى مسيطر لا فى السلم فقط ، بل فى الحرب ايضا . ومن هذا الوضع تنشأ السمه المميزة للموقف الاسرائيلى ... الا وهى محاولة الا تحل صراعا بل أن ترجئه [لان الحل يجر وراءه تنازلات] وبعبارة موجزة يمكن أن توقع اسرائيل اتفاقية حول تسوية محدودة للحصــول على مزية قصيرة الاجل . مثل هذه الاتفاقية يمكن أن تهدف الى توفير ظروف تؤجل الصراع مؤقتا دون أن تغير الوضع القائم جذريا . وليس من المحتمل أن تتقدم صوب تسوية شاملة للصراع اللهم الا اذا حدث تغيير جذرى فى البيئة الاستراتيجية الغربية - الاسيويه . أن الاسرائيليين يريدون السلام بل ويتمنونه ولايكفون عن الحديث عنه ولكنهم لا يؤمنون به ، بل ويخافون منه ويخشونه . ان اتفاقيه فض الاشتباك الثانى مع مصر فى سبتمبر ١٩٧٥ تمثل نوعا من المخاطر التى تكون اسرائيل مستعدة لتحملها رغم أنها جعلتها تتخلى عن شريحة من الارض (بما فيها ممرا الجدى ومتلا ذوا الاهميـــــة الاستراتيجية] ، وكذا عن حقول البترول مقابل تنازلات طفيفه من جانب مصر . ولكن عوض عن هذه المخاطرة اتفاقاتها مع الولايات المتحدة .

ومن هنا نجد ان اسرائيل قد غيرت الاستراتيجية والتكتيك والاسـلوب وليس الاهـــداف ... اى ان مضـمون السـياسة الاسرائيلية بقى كما هو كما كان قبل الحرب ..

هذا هو الاثر العام لحرب أكتوبر على اسرائيل ، ويهمنا الان أن نعرض الاثار السياسية بشكل محدد :

١ - بالنسبة للاتجاه العـام لاسرائيل بعـد الحرب ولوجهتهـا السياسية ، من الواضح أنه على الرغم من سقوط نظريه الامن الاسرائيلى وعزلة اسرائيل الدولية بسبب الحرب ، فان اسرائيل متجهة لمزيد من التشدد والتطرف . وحين ننظر فى تفسير هذا النزوع للتشددوالتطرف وعلاقته بالهدف الصهيونى الاصيل نجدانه نابع من حقيقة تحكم عاملين اساسيين فى الوجود الاسرائيلى وصياغتهما

لنفسيته العامة ، وهما كونه استعمارا استيطانيا أوروبيا في نشأته ، وقيامه على العقيدة الصهيونية . والملاحظ أن من طبيعة الاستعمار الاستيطاني عامة أن يغلب عليه التشدد والتطرف وأن يزداد في المراحل الاخيرة منه عامة كتعبير عن اندفاع ما قبل النهاية .

وهكذا ، فان اتجاه اسرائيل السياسي بعد الحرب هو في اتجاه العدوان ، وقد حفلت الاعوام الثلاثة الماضية بالامثلة على هذا الاتجاه .

٢ - في نطاق هذا الاتجاه السياسي العام ، نلاحظ أن الهدف الصهيوني قبل وبعد الحرب بقي على حاله . واعتمدت السياسة الاسرائيلية لبلوغ هذا الهدف ولمواجهة الضغوط التي نجمت عن الحرب على أسلوب المساومة في محاولة للتكيف مع المعطيات الجديدة ، ولضرب القيم الجديدة التي يطرحها العرب والتحول بهم الى مسارب جانبية .

٣ - تزايد اهتمام اسرائيل بعد الحرب ببناء قواتها العسكرية تلبية للنزوع نحو التشدد والتطرف ، وأدى ذلك الى مزيد من سيطرة المؤسسة العسكرية على الحكم والى السير لاستكمال تحويل التجمع الاسرائيلي الى تجمع حرب وعدوان ، وبرز على رأس المؤسسة العسكرية رابين وبيريز وآلون بعد سقوط مائير وديان وايبان .

٤ - أصبح هم السياسة الخارجية الاسرائيلية مواجهة نتائج الحرب من آثار ، وعلى الخصوص محاولة الخروج من العزلة الدولية ، والوقوف في وجه اية تحولات في السياسة الامريكية ازاء الصراع ، وافشال الحوار العربي الاوروبي ، وربط خيوط مع الاتحاد السوفيتي ، وتخريب العلاقات بين العرب وبعضهم البعض وبينهم وبين شعوب العالم الثالث . والقفز على المقاطعة العربية بصلات مع الدول المجاورة التي تمثل عمق الوطني العربي .

٥ - انشغلت السياسة الاسرائيلية انشغالا خاصا بموضوع التهجير والنزوح اليهودي بعد ان سببت الحرب اضعاف حركة التهجير وتقوية حركة النزوح . والحق أن حرب رمضان بالمعطيات الجديدة التي طرحتها آذنت بوضع جديد للتهجير بين يهود العالم وفرضت عليهم نظرة جديدة له . ومن المتوقع أن يتناسب انخفاض

ارقام التهجير وازدياد ارقام النزوح تناسبا طرديا مع استمرار التوتر وتصاعد المقاومة . ولعل اهم ما طرحته حرب رمضان على اليهود في هذا الموضوع هو انها طرحت السؤال الجذرى عليهم . ماذا بعد ؟ والى متى ؟

٦ ـ فرضت الحرب على السياسة الاسرائيلية موقفا جديدا من عرب فلسطين والثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية بعد أن سقط نهائيا على الصعيد الدولي موقفها القديم من انكار وجود شعب فلسطين . وظهر خلال الاعوام الثلاثة الماضية تحجر السياسة الاسرائيلية عن تغيير موقفها الامر الذى زاد في عزلتها الدولية ازدياد الاعتراف بمنظمة التحرير خصوصا بعد اشتراكها الفعال في دورة الامم المتحدة عام ١٩٧٤ .

ولكن ، من المؤلم حقا ، أن النجاح الذى حققته الثورة الفلسطينية يمر حاليا بأزمة عنيفة نتيجة لمؤامرة أمريكية ـ اسرائيلية مع بعض البلاد العربية وبعض الفئات والطوائف اللبنانية بهدف القضاء نهائيا على الشعب الفلسطيني ، وتصفية الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية .

٧ ـ أحدثت حرب أكتوبر خللا في صورة التطابق التى حدثت منذ قيام اسرائيل بين دائرتى اليهود والصهيونية . كما ثبت فشل المثل الاسرائيلى كحل صهيوني للمسألة اليهودية ، وذلك نتيجة عجز اسرائيل عن استيعاب يهود العالم واحجام غالبية هؤلاء عن مغادرة أوطانهم والهجرة الى اسرائيل . ومن المتوقع ـ مع استمرار النضال العربي لتحرير فلسطين ـ أن يقوى تيار الاندماج المتدفق بين يهود العالم وأوطانهم الاصلية ، وتزداد الصعوبات أمام المخططات الصهيونية لتهجيرهم لفلسطين .

٨ ـ التحجر الفكرى الذى يطبع العقلية التى تصوغ السياسة الاسرائيلية ويصيبها بالعجز عن امكانية التكيف الذاتي مع الحقائق المحيطة ، وهذا يفسر ظاهرة التشدد وانحسار الضغط الدولي للتكيف مع الواقع . كذلك كشفت الحرب عن حقيقة التناقضات التى تتحكم في التجمع الاسرائيلي وانذرت بامكانية تفجرها .

والان ، فلنحاول أن نعرض للاثار العسكرية وأهم التغيرات التي حدثت في جيش الدفاع الاسرائيلي ، سواء في العقيدة والاستراتيجية العسكرية، أم في التنظيم والتسليح، أم في التكتيك وأساليب القتال .

التطورات العسكرية :

لا شك أن من أصعب الامور معرفة ما يحدث في الجانب الاخر من التل ، وخاصة اذا كان في ذلك الجانب تجمع مغلق علينا نحن العرب ، وعلى الاخص بعد صدور قانون بحظر الادلاء او نشر اي معلومات تتعلق بالامن والدفاع ومشاكل الطاقة ومناقشات لجنة الشئون الخارجية والدفاع الوطني ... وحتى عند الادلاء بأي تصريحات لكبار المسئولين الاسرائيليين نجدها — عن قصد او غير قصد — متناقضة وبالتالي مضللة .

ان أسرار الدول — وخاصة في الشئون العسكرية — ليست كتابا مفتوحا ، بل انها تحظى بأكبر قدر من السرية . ولكن لما كان من الضروري لكل دولة معرفة ما يجري لدى عدوها ، كان من المحتم استخدام التفكير العلمي واستقراء الاحداث وتحليل الاخبار والانباء ، فضلاً عن وسائل المخابرات والاستطلاع بمختلف أنواعها لمعرفة أكبر قدر عن العدو .

ومن الطبيعي أن أي تغيير حدث أو منتظر أن يحدث في اسرائيل عقب حرب رمضان كان نتيجة دراسة عميقة لهذه الحرب ، وتحليل لنتائجها والخروج منها بدروس مستفادة وبالتالي تحتم اجراء هذه التغيرات بعد اجراء التجارب والاختبارات عليها أثناء التدريب . ولقد كانت أهم هذه الدروس في المجال العسكري هي :

١ — أن المفاجأة ليست حكرا على اسرائيل ، كما أنها مازالت عاملا حاسما في تحقيق النصر ، لذا فان اليقظة والاستعداد القتالي العالي يجب أن يكونا في المقام الاول ويسبقا ما عداهما من عوامل .

٢ — أن القوة العسكرية هي احد أوجه القوة المتاحة لاى دولة وليست كل أوجهها ، وأنها لا تستطيع وحدها حل القضايا المعقدة ، مثل الصراع العربي — الاسرائيلي .

٣ ـ ان التخطيط والاعداد يعتبران اليوم ـ خلافا للماضى ـ أكثر تأثيرا وأهمية من التنفيذ .

٤ ـ ان الحرب ليست هجوما فقط ، بل ودفـاع ايضـا ، وانها تتطلب الجمع بين بناء المواقع وبناء القوة .

٥ ـ ضرورة البحث عن سلاح رادع حقيقى بعد سقوط سلاح التفوق النوعى وبدء اختفاء مفهوم السيطرة الجوية المطلقة نتيجة وسائل الدفاع الجوى الايجابية والسلبية .

٦ ـ انهيار مفهوم الحدود الامنة ، فان الدفاع مهما كان حصينا ويستند على موانع طبيعية أو صناعية قوية فهو عرضة للاختراق والتدمير ، طالما كانت القوات المهاجمة من القوة والكفاءة والتصميم بالقدر الذى يضمن لها النصر .

٧ ـ بروز دور المشاة المسلحة بالصواريخ الخفيفة المضادة للدبابات والمضادة للطائرات ، وقدرة المشاة المترجلة على صمود فى وجه هجوم الدبابات . وهكذا بدأت سيادة الدبابة على أرض المعركة تهتز ، وانهارت بالتالى عقيدة « دبابات بحتـة » ، وكذا إستـراتيجية الحـرب الخـاطفة التى كانت تعتمد على ثنـائى الدبابة ـ الطائرة . ان النصر ـ فى عصرنا الحالى ـ يتوقف فى المقام الاول على التعاون الوثيق بين جميع الاسلحة وليس بالتركيز على سلاح أو اثنين .

٨ ـ أهمية العمل ليلا وفى احوال الرؤية الرديئة رغم تعدد وسائل الرؤية ليلا .

٩ ـ تأكيد أهميـة الاقتحـام الرأسى واسـتخدام البعـد الثالث والحوامات [طائرات الهليوكبتر] .

١٠ اهمية دور الحرب الالكترونية بجانبيها الهجومى والدفاعى والدفاعى .

١١ ـ نظرا لقيود القوات الجوية ، وكذا لما تتعرض له من خسائر نتيجة الدفاع الجوى المعادى ظهرت ضرورة استخدام الصواريخ أرض ـ أرض .

١٢ ـ ضرورة الاعتماد على القوة الذاتية للدولة سواء بانتاج أكبر قدر من احتياجاتها أو بزيادة المخزون الاستراتيجى لمواجهة حرب طويلة ممتدة .

١٣ ـ اثبتت حرب أكتوبر أن النصر يعود أولا وقبل كل شيء الى الفرد المؤمن بربه ووطنه وقادته ، والقضية التى يناضل من أجلها ، والسلاح الذى في يده .

ولا شك أن هناك عشرات أخرى من الدروس المستفادة من حرب أكتوبر سواء في المجال السياسى أو الاقتصادى أو المعنوى أو التكنولوجى والفنى أو حتى العسكرى البحت ، ولكنها دروس لا تتفق مع مستوى ومجال هذا البحث .

اولا : التطورات فى العقيدة والاستراتيجية العسكرية

اليقظة والاستعداد القتالى :

أصبحت اسرائيل اليـوم تؤمن ايمانـا عميقـا بأهميـة اليقظـة السياسية والعسكرية بصفة مستمرة مع الاحتفـاظ بقـوات مستعدة « فى حالة تأهب » أكبر مما كان قبل حرب أكتوبر . وترى اسرائيل أنه يمكن تحقيق ذلك اما بزيادة الجيش النظامى على حساب الجيش الاحتياطى و الاحتفاظ بجيش معبأ أكبر . أى أن نسبة الجيش النظامى الى وحدات الاحتياط المعبأة تكون اكبر كثيرا عما كانت عليه قبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

ان وجود قوات كافية ـ ضمان صد أى عدوان خارجى وتحقيق المهام الاستراتيجية المباشرة ـ فى حالة استعداد قتالى عالية ، مع توفر معلومات دقيقة عن العدو ثم تحليل سليم لهذه المعلومات والوصول الى استنتاجات صحيحة عن امكانياته أولا ونواياه ثانيا بدون تهوين أو تهويل ، والنظر الى كل تقرير أو تقدير دون حكم مسبق مبنى على « مفهوم » مقر من قبل ، وعدم الاغراق فى الامانى وتفضيل التقديرات المفعمة بالامل على واقع غير سار .. أمر ضرورى بل حيوى ويسبق ما عداه مهما كلف الدولة من نفقات . وشتان بين تكاليف توفر هذه القوات بصفة دائمة وبين خسارة الحرب . ان اقامة خطوط دفاعية حصينة تستند على موانع طبيعية أو صناعية قوية مع توفر جهاز انذار جيد ونظام تعبئة على أعلى

درجات الكفاءة لا يغنى عن وجود قوات كافية مستعدة وخاصة اذا كان خط الجبهة بعيدا عن قلب الدولة والطرق اليه محدودة وغير جيدة . وكما قال برناردشو « أن اليقظة الدائمة ثمن النصر » .

ولا شك ان اسرائيل تعض الان بنان الندم على تقصيرها فى عدم استعدادها لصد الهجوم العربى سواء لعدم توفر قوات كافية أو لعدم التعبئة مبكرا على أساس أن القوات المصرية لم تكن تستعد لهجوم ، انما كانت تجرى مناوراتها التدريبية السنوية . وكما يقول الجنرال حاييم بارليف فى ١٩ ــ ١٠ ــ ١٩٧٥ « ان مائة انذار كاذب افضل من مفاجأة واحدة » .

ان أمن وسلامة الدولة يجب أن يكون فى المقام الاول . هذا هو الدرس الذى خرج به العالم أجمع من الهجوم النازى على الاتحاد السوفييتى فى ٢٢ ــ ٦ ــ ١٩٤١ ، ومن الهجوم اليابانى على بيرل هاربور فى الساعة ٧٥٥ يوم الاحد ٧ ــ ١٢ ــ ١٩٤١ ، ومن العدوان الاسرائيلى على مصر فى صبيحة ٥ ــ ٦ ــ ١٩٦٧ . ولكن اسرائيل لم تع كل هذه الدروس ، فجاء يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وبالذات الساعة ١٤.٥ ليخرج اسرائيل من أحلامها ويوقعها فى صدمة نفسية وبلبلة فكرية أذهلتها لعدة أيام ، بل انها لا تزال تعانى من نتائجها الى الان .

الامكانيات وليس النوايا :

أصبحت اسرائيل تؤمن اليوم بأن « الامكانيات » وليس مجرد النوايا هى أساس التخطيط العسكرى ، وخاصة فى مثل حالة الصراع العربى ــ الاسرائيلى . فلا شك أن العرب ــ وهم يرون اسرائيل تحتل أجزاء من أراضيهم وتنعم بخيراتها وتنتهك حرماتها ــ لديهم دائما نية القتال لاسترداد أراضيهم وحقوقهم . وطالما أنه من غير المعقول أن تحدد الدولة موعد هجومها ، فلا محل اذن للنية فى هذا الصراع لانها متوفرة دائما ، وانما المهم هنا هو حشد القوات القادرة على شن الهجوم . ويعلمنا التاريخ أن الدولة التى تريد شن الحرب ــ سواء بغرض العدوان أو لاسترداد أرض مغتصبة ــ لا تعلن أنها تحشد قواتها بنية القيام بهجوم ، وانما تعلن أنها بغرض تحسين الدفاع عن الحدود ، أو لاغراض التدريب ، أو للاستعداد لصد هجوم محتمل عليها .

ان قادة اسرائيل يؤكدون اليوم أن الخطأ الذى حدث فى أكتوبر ١٩٧٣ لن يتكرر ثانية . ان اسرائيل أصبحت تؤمن بأن المفتاح لمنع واحتواء الهجوم المفاجىء يكمن فى الاهمية المرتبطة بحشد قوات ضخمة منتشرة على طول المواجهة لاى سبب من الاسباب . واذا كان الجانبان المتحاربان يمكن أسلحة ذات قوة متساوية ، فان النوايا العدوانية يمكن استنتاجها فقط بواسطة تحليل درجة الحشد ، والفتح ، واستعداد قوات الحصم .

وفى الوقت الحاضر ، وبناء على ما تقدم ، فان الفرضية الرئيسية التى تحاول الاركان العامة الحصول على الموافقة عليها،هى انه من المنطقى أنه اذا زاد العدو من استعداداته عن مستوى معين كان لنا أن نستنتج أن العدو لديه نوايا عدوانية فورية ، وبالتالى يتحتم العمل على هذا الاساس بواسطة الوسائل السياسية أو باستخدام القوة . وعندما يتوفر لدى الاركان العامة معلومات عن تأهب العدو لهجوم [بناء على المفهوم المشار اليه عالية .. أى درجة الحشد والفتح والاستعداد ، وليس بناء على المفهوم « المقدس » السابق الذى تسلط على قادة اسرائيل لسنين طويلة] ، فان رد الفعل فى هذه الحالة لن يكون سياسيا ، بل ببساطة ووضوح يكون عسكريا . وباختصار ، يكون هذا الموقف مبرر: للقيام بضربة مسبقة .

يقول « يهوشوع تدمور » فى صحيفة دافار بتاريخ ٥ ـ ١ ـ ١٩٧٦ : « لقد كان احد الاستنتاجات الرئيسية التى توصلت اليها شعبة المخابرات العسكرية والجيش الاسرائيلى كله على أثر التقديرات الجديده هى انه محظور استخلاص استنتاجات بالنسبة لخطوات العدو المحتملة بناء على نواياه المعلنة واتجاهاته الاساسية ، ولا بناء على تقديراتنا الخاصة بنظرة زعماء سوريا أو مصر لاحتمالات مواجهة عسكرية أخرى .

« وكان المنطلق الجديد للجيش الاسرائيلى هو : قوات عدو نظامية كبيرة وتملك طاقة حربية ضخمة مستعدة بالقرب من خطوط وقف اطلاق النار ويمكن استخدامها بسرعة ، وأن تتحول فى خلال وقت قصير من وضع دفاعى الى وضع هجومى . وعلى ذلك ، لا أهمية للنوايا التى تكمن فى تصريحات سلام عربية او للاستعداد للاعتراف بوجود اسرائيل بهذا الشرط أو ذاك ، أو لمواقف سياسية معلنة

أخرى ، ولكن الفيصل هنا هو استعداد القوات على أرض الواقع ، وينبغى وضع قوة فى مواجهة هذه القوة » .

لا حل عسكرى ؟

يبدو أن اسرائيل أصبحت تؤمن بأنه لا يوجد حل عسكرى للصراع العربى ـ الاسرائيلى . لقد انتصرت فى الجولات الثلاث الاولى ، بل كان انتصارها فى الجولة الثالثة ضخما ولكنه لم يحسم القضية ويحقق ثمرته السياسية . ثم انها ـ كما تعتقد ـ لم تهزم فى الجولة الرابعة ، وانها كانت قادرة على تحقيق انتصار رابع لولا تدخل القوتين الاعظم وفرض وقف اطلاق النار بسرعة . كما ترى اسرائيل أن العرب لا يستطيعون الانتصار عليها ، ولكنها أيضا لا تستطيع هى سحقهم ، بل أنهم قادرون على تحمل هزائم أخرى فى الوقت الذى لا تستطيع هى أن تتحمل هزيمة « كاملة » واحدة .

يقول البروفيسور « يعقوب تلمون » أستاذ التاريخ المعاصر فى الجامعة العبرية « انى أعتقد اننا أخطأنا فى الايمان بأننا نستطيع علاج أعمال التخريب والارهاب والمقاطعة والاستعدادات الحربيـــة والحروب التى يقوم بها العرب ! بالضربات . والضربات المتلاحقة ومزيد من الضربات ، زعما أنهم لا يفهمون لغة أخرى ، وأنهم ليسوا على استعداد للسلام الشامل مع اسرائيل . لم نبحث ولم نفكر فى وسائل أخرى لتخفيف هذا الجنون . أننا ـ فى الحقيقة ـ بدلا من تخفيفه زدناه واستفززناه ... لقد سكب الانتصار نشوة القوة ، وصرف كل اتزان ... واتسمت القوة بأنها قادرة على كل شىء وتجيب على كل شىء . وكانت هناك عجرفة واحتقار لا نهاية لهما للعدو المهزوم، واستهتار بالرأى العام وبالانتقاد . كما كان هناك نشاط متميز للقيام بعمل كبير كدولة كبرى ارادتها هى قانونها » .

ويقول « آهرون كوهين » وهو أحد المستشرقين البارزين : « لقد ظلت سياسة اسرائيل لمدة أكثر من ست سنوات محصنة وراء سور من انعدام المبادرات السياسية ، وغارقة فى منطق « القرار بعدم إتخاذ قرار » ، وتناور أساسا لكسب الوقت لعل وعسى ، وعلى أمل أن يحدث « شىء ما » بمرور الوقت ، فقد كان من المسلمات لديها أن الوقت يعمل لصالحها . وقوبلت مبادرات الاخرين السياسية ، مثل

دكتور يارنج ، ورؤساء افريقيا ، وروجرز برد راذع « العرب يعرفون عنواننا » ... وازدادت عزلة اسرائيل فقد جعلت سياسة « الحقائق المنتهية »، «الامم المتحدة عاجزة». «ليس المهم ما تقوله الشعوب » ... الخ ، جعلت الاصدقاء متحفظين ... والحياديين غير مبالين ... وغير المبالين معارضين » .

كما ذكر « دافيد العازار » ، رئيس الاركان الاسرائيلى أثناء الحرب ، فى الندوة التى عقدت فى القدس فى الفترة من ١٢ ــ ١٨ أكتوبر ١٩٧٥ لمناقشة نتائج حرب أكتوبر : « اننا لا نريد المزيد من الانتصارات ، فالحروب لن توفر السلام للمنطقة . وهذا السلام ضرورى لنا جميعا » .

كما أكد اسحق رابين رئيس الوزراء أكثر من مرة الاهمية والاولية التى توليها اسرائيل لانهاء حالة الحرب ، وأوضح استعداد اسرائيل لتقديم تنازلات من أجل تحقيق هذا الهدف .

بل ان الاسرائيليين يجأرون بالشكوى المرة ويقولون : « كم من الحروب نستطيع الاشتراك فيها ونبقى بعدها على قيد الحياة ! ! .

كما اتهمت صحيفة هاآرتس السياسة الاسرائيلية بانها اتسمت فى السنوات ١٩٧٠ ــ ١٩٧٣ بالتجاهل الاعتباطى للواقع الذى يحيط بها فى المنطقة ، واستخلصت من الحرب عبرتين : الاولى : انه اذا كان قد حدث تغير ، فانه فى المبالغة فى أهمية قوة عسكرية محلية فى معركة ذات ثقل عالمى . والثانية : ان الصراع الاسرائيلى من أجل البقاء ليس عسكريا فقط . ان الساحة التى سيتم الحسم عليها هى الساحة السياسية . يجب ان يكون اختيار الاهداف والوسائل والشركاء متجانسا مع هذه الساحة . وعليها سنضطر الى تركيز جهودنا الاساسية » .

لقد أثبتت حرب رمضان مرة أخرى أن القوة العسكرية ما هى الا أحد أوجه القوة المتاحة لاى دولة وليست كل أوجهها . فانه لادارة الصراع الشامل يلزم لكل دولة أن تخطط استراتيجيتها الشاملة على الوجه الذى يحقق أحسن استخدام لكل تلك القوة مجتمعة .. ونعنى بها القوة السياسية ، والدبلوماسية ، والاقتصادية ، والمعنوية ، والنفسية ، والايديولوجية ، والعسكرية .

ولكن يجب الوضع فى الاعتبار خمس حقائق لا يمكن تجاهلها :

أولا : أنه بدون القوة العسكرية لا يمكن تحقيق الحسم وحل القضايا المصيرية .

ثانيا : أن هناك حدودا لاستخدام القوة في عصرنا الحالى نظرا لان علاقات القوى المحلية والدولية ترسم خطوطا غير مرئية لمدى استخدام القوة العسكرية من جانب طرف ضد طرف آخر [لم تستطع امريكا أن تستخدم الاسلحة النووية فى فيتنام ، كما لم تستطع اسرائيل او مصر أن تضرب المناطق الاهلة بالسكان لدى الخصم] .

ثالثا : ان هنــاك حدودا لمـا تستطيع القوة العسكرية نفسها أن تحققه ، وخاصة ضد شعب يملك الارادة والتصميم . [**لم تستطع** امريكا بقوتها وجبروتها ان تحقق انتصارا على دولة صغيرة مثل فيتنام الشمالية ، كما لم تستطع فرنسا أن تحقق نفس الشيء ضد الجزائر] .

رابعا : إن القوة العسكرية لا يمكن ان تحل وحدها القضايا المعقدة مثل الصراع العربى ــ الاسرائيلى . ان انتصار اسرائيل الساحق عام ١٩٦٧ وماسبقه من حروب وما تلاه من حرب أكتوبر لهى أوضح أمثلة فى هذا المجال .

خامسا : ان هذه المجالات المختلفة لقوة أى دولة لا تعمل منفردة او منعزلة عن بعضها البعض ، والا كان تأثير كل منها محدودا . بل يجب ان تعمل معا وأن يكمل كل منهما الاخر ، وان يستغل كل مجال انجازات المجالات الاخرى (على سبيل المثال ، استغلت السياسة انجازات حرب اكتوبر العسكرية والاقتصادية فى تحريك القضية وانهاء حالة اللاسلم واللاحرب واحداث تغير فى موقف أمريكا من القضية] . بل يمكننا أن نقول ان تجاهل أىمن هذه المجالات قد يقضى على فاعلية المجالات الاخرى مهما كانت قوتها . فمثلا يعتقد البعض فى ايجاد حل لمشكلة سياسية شديدة التعقيد عن طريق القيام بعملية عسكرية بحتة . وواقع الامر أن مثل هذه العملية لا يمكن أن تتوافر لها فرص النجاح ما لم تتم فى ظروف سياسية واقتصادية ونفسية مواتية ، وبحيث تكون فى النهاية بمثابة نصر كامل على الصعيد العالمى .

يقول الجنرال « اندرية بوفر » الذى كان قائدا للقوة الفرنسية فى حرب العدوان الثلاثى ومديرا لمعهد الدراسات الاستراتيجية بباريس « ان العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ لهو مثل حى لمحاولة ايجاد حل لمشكلة سياسية الطابع شديدة التعقيد بعمل عسكرى بحت . اى تجاهل وضع العملية فى اطارها السياسى والاقتصادى والنفسى الصحيح . وهذا ولا شك هو السبب الحقيقى وراء فشلها »

رغم كل هذا الايمان بعدم جدوى الحرب ، الا ان هناك رغبة دفينة قوية لدى غالبية الاسرائيليين بما فيهم مسئولون كبار فى القيادتين السياسية والعسكرية فى تحقيق نصر عسكرى يعيد لاسرائيل هيبتها أمام العرب والعالم أجمع واستعادة ثقة الشعب بقياداته وجيشه . وكذا لاعادة التوازن للمعادلة النفسية التى سبق أن أشرنا اليها ، حيث ان الخطر العربى ـ من وجهة النظر الاسرائيلية ـ مازال خطرا حقيقيا ولم يعد الى حجمه المطلوب كتهديد فحسب . ومازالت المحاولات الاسرائيلية ـ التى ابتدأت بالتهوين مما حدث فى أكتوبر ثم تبريره ثم الوعيد بضرب العرب ضربا مبرحا ودق عظامهم ـ مستمرة لاستعادة هذا التوازن المفتقد . . وليس من سبيل لاستعادته الا بأحد أمرين : اما امتلاك تفوق عسكرى لا شك فيه [امتلاك السلاح النووى مثلا] ، أو شن حرب جديدة .

ويرى كثير من الاسرائيليين ضرورة العمل فى كلا المجالين ، وان اختلفوا فى توقيت شن الحرب . فبينما كان يرى البعض التعجيل بها ، يرى البعض الاخر عدم التسرع وتأجيلها الى أواخر هذا العقد .

ويدفع أصحاب كل رأى بحجتهم وأسانيدهم . وتتلخص وجهة نظر الرأى الاول فى الاتى :

ـ ان اسرائيل قد كدست كميات ضخمة من الاسلحة والذخيرة بما يكفيها من ادارة حرب مريرة لمدة تزيد عن الشهر ، وانه كلما مر الوقت كلما تقادمت هذه الاسلحة وظهر ما يفوقها .

ـ لم تستكمل مصر ـ عدوها الرئيسى ـ استعواض خسائر حرب اكتوبر بعد ، كما انها لم تستوعب ايضا الاسلحة الغربية الجديدة .

ــ ان أى تأخير سيزيل ــ أو على الاقل سيقلل ــ من التفوق النوعى الذى تعتقد اسرائيل أنها تتمتع به ، سواء فى نوعية السلاح أم فى نوعية الفرد ، أم فى نوعية القادة .

ــ كلما مضى الوقت ، كلما ازدادت القوة العسكرية للدول العربية المصدرة للبترول ، وبالتالى ، يزداد الدعم الذى تقدمه لدول المواجهة .

ــ توتر العلاقات المصرية ــ السوفيتية ، والتى قد تتحسن مع الوقت .

ــ تصدع التضامن العربى وخاصة بين دول المواجهة ، وقبل أن يلتئم الشمل من جديد ويعود التقارب بين مصر وسوريا ويعم الهدوء الساحة اللبنانية ومايتبعه من فعالية المقاومة الفلسطينية وتفرغها لعدوها الطبيعى .

ــ يعتبر صيف وخريف عام ١٩٧٦ هما أفضل وقت ــ فى رأى هذه المجموعة ــ لشن الحرب نظرا لانهما فترة شلل القيادة السياسية الامريكية ــ بل امريكا كلها ــ لانشغالها بانتخابات الرئاسة .

أما وجهة نظر الرأى الثانى ومبرراته فتتلخص فى الاتى :

ــ ان اعادة التنظيم والتسليح وتكوين كادرات جديدة من الضباط وضباط الصف بدل الذين فقدوا فى حرب أكتوبر وتدريبهم على التنظيم والتسليح الجديدين يتطلب كل هذا وقتا لا يقل عن ٥ ــ ٧ سنوات .

ــ ان اعادة بناء معنويات الشعب عموما والمعنويات العسكرية لجيش الدفاع الاسرائيلى بصفة خاصة تحتاج لنفس المدة تقريبا .

ــ يقال ان اسرائيل تحتاج الى عدة سنوات أخرى لتدعيم قدراتها النووية . . . سلاح ردعها الجديد .

ــ من المنتظر ان تتوصل أمريكا الى العثور على مصادر أخرى للطاقة مع نهاية هذا العقد ، وبذا تصبح هى وحلفاؤها فى غنى عن البترول العربى .

ــ من الصعب على الرأى العام العالمى ان يقبل جولة عربية ــ

اسرائيلية خامسة فى وقت قريب ، وهو لم يزل يعانى من مشاكل الجولة الرابعة .

ـ يؤمن اصحاب هذا الرأى أن الوقت يعمل فى صالح اسرائيل ، وهم يرون انه بمرور الوقت سيزداد تفكك العرب وتفرقهم . وسيقوم بعضهم من امثال حزب البعث السورى ومعمر القذافى والملك حسين وفرنجية وشمعون بتصفية المقاومة الفلسطينية بالنيابة عن اسرائيل ، وعندئذ سيسهل عليها الامر وتضرب العرب فرادى . ومن المؤلم حقا ان الاحداث الحالية تثبت صحة نظرهم .

التخطيط والتنفيذ :

فى عصرنا الحالى ـ عصر الاسلحة المعقدة والمتعددة الانواع والحرب الالكترونية ـ فان التخطيط والاعداد يعتبران اليوم ـ خلافا للماضى ـ أكثر تأثيرا وأهمية من التنفيذ . وبعبارة أخرى فان التخطيط والتحضير للعمل قد أصبحا الان اهم من العمل نفسه ، بل ان الاستعداد للحرب يحول دون نشوبها . ان هذا المبدأ هو أساس نظرية الردع ، فمجرد وجود قوات مسلحة قوية ومتفوقة على درجة عالية من الكفاءة والفعالية يمنع العدو من محاولة الاعتداء عليك .وحتى لو اعتدى عليك ، فان حسن استعدادك وتخطيطك للحرب لابد وأن يحقق لك النصر . ويعد ذلك على طرفى نقيض لفن الاستراتيجية ابان عصر نابليون حيث قال : « لم تكن هناك صعوبة فيما يتعلق بفن الاستراتيجية ، وانما تقع المشكلة كلها فى التطبيق » . ذلك لان وسائل الصراع المسلح وقتئذ كانت بسيطة ومحدودة الانواع والتأثير وبالتالى كانت أساليب القتال محدودة .

أما اليوم ، وبعد ظهور الدبابة والطائرة والمدفعية بعيدة المدى والصواريخ بأنواعها المتعددة ووسائل الحرب الالكترونية ، فضلا عن أسلحة التدمير الشامل ، وتزايد القوة العسكرية للمتحاربين ، وضخامة المبالغ التى تنفق عليها ، والسرعة وخفة الحركة التى تتسم بها الجيوش الحديثة ، بالتالى امكان تحقيق المفاجأة والحسم فى الوقت الذى لا يمكن لأى دولة مهما كان غناها وامكانياتها من الاحتفاظ بقواتها معبأة .... أصبح تنظيم هذه القوات الضخمة وتسليحها وتدريبها واعدادها للقتال وتقسيمها الى قوات عاملة

وأخرى احتياطية وتخطيط استخدامها وتنسيق اعمالها وتنظيم تعاونها أمورا فى غاية الصعوبة والتعقيد . تتطلب جهودا ضخمة وتستغرق سنوات طويلة . ولكن ، اذا ما تم كل هذا على أفضل وجه ، أصبح التنفيذ أمرا سهلا بل يكاد ان يكون روتينا أو على الاصح تلقائيا لانه سبق ممارسته والتدريب عليه مرات ومرات . وان التخطيط الان أصبح سمة العصر فى كل شئون حياتنا ، وبدون تخطيط لا ينتظر أن ينجح أى عمل .

لقد شملت حرب أكتوبر نجاحات وفشلا لكلا الجانبين المتحاربين . وكان سبب هذه النجاحات وهذا الفشل هو التخطيط . فما خطط له جيدا نجح . وما لم يخطط له جيدا فشل . ويثبت لنا التاريخ انه لم يحدث أن فشلت عملية واحدة خطط لها جيدا ووفرت لها كل أسباب النجاح . واذا فرض وحدث العكس ، فانه يرجع لا محالة الى الحظ . . فالحظ لا يمكن ان ينفصل عن الحرب ، طالما ان الحرب جزء من الحياة .

لقد كان من أسباب هزيمة اسرائيل فى حرب اكتوبر وخاصة فى الايام بل الساعات الاولى منها هوعدم وجود خطة دفاعية جاهزة كما يجب بكل تفاصيلها لمقابلة أى هجوم عربى مفاجىء وخاصة على أكثر من جبهة واحدة فى وقت واحد .

وقد يكون السبب فى ذلك هو ثقتها الزائدة فى قوتها وقدراتها واستهانتها بقوة اعدائها وقدراتهم وعدم تضامنهم واتفاقهم على القيام بعمل موحد .

أما اليوم ، فتحرص اسرائيل اشد الحرص على التخطيط والاستعداد لكل احتمال وتكدس الاسلحة والمعدات والذخيرة مع عدم ترك اى شىء للحظ أو للظروف .

الهجوم أم الدفاع :

أحدثت حرب اكتوبر تغييرا كبيرا فى استراتيجية اسرائيل ، اذ تنقلت بها من موقف الهجوم الى موقف الدفاع . فقد كانت تتخذ وضعا عسكريا هجوميا منذ بدء نشأتها بل ان الاركان العامة الاسرائيلية لم تكن تعبأ بمجرد التفكير فى الوضع الدفاعى . وفى

رأى الاركان العامة الاسرائيلية أن هذه الاستراتيجية عادت بفائدة كبيرة فى أعوام١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ واقتنعت الشعب الاسرائيلى بأنها أفضل استراتيجية بل بأنها الاستراتيجية الوحيدة لاسرائيل .

ومع ذلك ، أذيق الاسرائيليون طعم الدفاع الذى اضطروا اليه عندما اقتضى الامر تعزيز خط بارليف ، ولكنهم رفضوا قبول الدفاع كنظرية واجبة الاتباع ، واكتفوا باعتباره عنصر ازعاج عسكرى مؤقت وضرورة تحتمها الظروف الدولية والمحلية وقتئذ ، وكانوا يتجاهلونه قدر الامكان . ومثلما جرت فى الحرب العالمية الاولى عندما حدثت . بين قوتين هائلتين تتألف معظم عناصرهما من المشاة مواجهة فى حرب خنادق جامدة فى حين وقف الفرسان فى المؤخرة فى انتظار التحرك نحو كسر الجمود الذى طال أمده . حدث نفس الشىء بالنسبة للاسرائيليين وخط بارليف بعد عام ١٩٦٨ . وظل الاهتمام مركزا على الدبابة والطائرة بوصفهما عنصرى النصر . أما الاسلحة الاخرى كانت تأتى بعدهما من حيث الاهمية . وحدث فى الايام الثلاثة الاولى من حرب أكتوبر على الجبهة المصرية أن قام قادة الدبابات الاسرائيلية ــ شأنهم شأن الفرسان المدرعين القدماء ــ بشن الهجوم المضاد بسرعة فائقة على المصريين لمحاولة ارهابهم واضطرارهم للفرار . وبدأوا الهجوم بالسرايا ثم بالكتائب ثم بألوية كاملة . وكانوا يهاجمون بلا هوادة الا أنهم كانوا يفشلون فى كل مرة ويصابون بخسائر جسيمة ، ودمر أكثر من ٣٠٠ دبابة اسرائيلية على أيدى المشاة المصريين الذين صمدوا فى الصحراء المكشوفة ومعهم الصواريخ والقواذف المضادة للدبابات . وعند ذلك ، ادرك الاسرائيليون ــ بعد ان تكبدوا هذه الخسائر ــ ان اتخاذهم الهجوم ليس الا عملا انتحاريا . وبالنسبة للجو حل بالاسرائيليين نفس المصير اذ تمكنت وسائل الدفاع الجوى العربية من اسقاط ما يقرب من أربعين طائرة اسرائيلية فى أقل من ساعتين . ومرة أخرى ، تبين لهم أن الاستراتيجية الهجومية عمل انتحارى فى الجو .

ولم يعد الجندى الاسرائيلى يتقدم للامام وهو واثق ان العرب سوف يفرون أمامه تلقائيا قبل أن يقترب منهم . وسرعان ما ادرك ان الدفاع أصبح حيويا لبقائه على قيد الحياة . وعلى سبيل المثال ، فان القوة الاسرائيلية التى تسللت الى الضفة الغربية لقناة السويس كانت تتحرك ببطء وحذر شديدين على العكس تماما من تصورنا

لطابور مدرع يجب أن يزحف مسرعا عبر الصحراء خاصة وهو يعلم أنه لن يلقى مقاومة تذكر وفى الليل ، كانت الدبابات تتكدس فى مجموعات وتبث عددا هائلا من الالغام حول نفسها لكى توفر لنفسها قدرا من الحماية يزيد عما تحتاج اليه فى حقيقة الامر ، مما كان يعتبر الغاء لقدرتها على الحركة . وعندما اضطر الاسرائيليون لترك الضفة الغربية اضطر سلاح المهندسين العسكريين المصرى الى رفع أكثر من ثلاثة أرباع مليون لغم اسرائيلى من المنطقة المحدودة التى احتلها الاسرائيليون فترة وجيزة .!!

وبعد حرب أكتوبر ، اصبح الاسرائيليون مقتنعين تماما بضرورة التفكير بعقلية دفاعية ، فانفقوا ملايين الدولارات على بناء خطين قويين تقليديين للدفاع ، أولهما فى سيناء فى مواجهة المصريين ، وثانيهما فوق هضبة الجولان فى مواجهة السوريين . واصبح الدفاع التقليدى الذى طالما كانت أسرائيل تنظر اليه بعين الاستعلاء قبل الحرب ، أصبح مقبولا كضرورة عسكرية لحماية الحدود الاسرائيلية ، وأصبح الحديث يدور بعد ذلك حول بذل التضحيات لكسب « حدودآمنة » . بمعنى حدود يسهل الدفاع عنها أكثر من أى حدود اخرى . وعندما اضطر الاسرائيليون بعد ابرام اتفاقية سيناء التى رتب لها كيسنجر للانسحاب الى خط جديد شرق الممرات اخذوا معهم كل ما يمكن نقله مثل الاسلاك والالغام ودمروا ما تعذر نقله . ولا شك ان الدفاع الخطى المحصن يتكلف الكثير من النفقات والمواد والقوة البشرية ، فضلا عن تأثيره البالغ السوء على الروح المعنوية . لقد أرغمت سرائيل نتيجة حرب أكتوبر ، ونتيجة لحتمية القتال على أكثر من جبهة واحدة فى وقت واحد ، ونتيجة لقدرة الدول العربية المجاورة على الهجوم لاول مرة ، على انتهاج استراتيجية جديدة تجمع بين الهجوم والدفاع فى آن واحد ، وكذلك على مزيج من القتال الثابت والقتال المتحرك .

ولاول مرة نرى قائدا اسرائيليا كبيرا يشيد بالدفاع ، اذ يقول دافيد العازار فى اكتوبر ١٩٧٥ « لقد ثبت فى حرب تشرين – مرة أخرى – ان الدفاع هو صورة المعركة القوية ، اى ان قوات متدنية تستطيع ممارسة دفاع جيد ، وقادر على صد قوات متفوقة . ولكن هذه العبرة لا تغير الحقيقة القديمة والراسخة اليوم أيضا ، وهى أنه

يستحيل الانتصار في الحرب بالدفاع وحده ، وان كان بالامكان الصد وحرمان العدو من الحسم لفترة ما ، وتكبيده خسائر » .

نعم ، ان تفوق الاسلحة الدفاعية والمواقع الدفاعية القوية اذا ما قورنت بتشكيلات الاقتحام ، وكذا بنسبة التفوق العددى التى يجب أن يحققها احد الجانبين لكي يشن هجوما على الاخر (يرى بعض الخبراء العسكريين أن نسبة التفوق لتحقيق الاختراق قد زادت نتيجة حرب اكتوبر وصمود القوات المصرية فى رؤوس الكبارى ، وأنها يجب ألا تقل هذه النسبة عن ٣ : ١فى الافراد و ٥ : ١ أو ٦ : ١ فى الاسلحة والمعدات) . وأيضا صعوبات التحرك فى ميدان المعركة الذى تسيطر عليه النيران تجعل الدفاع كعملية حربية فى حد ذاتها ــ شكلا أقوى من الهجوم . ولكن ــ كما يقول كلا وزفتز ــ فان الدفاع ، وان كان الشكل الاقوى ، الا أنه ذو هدف سلبى ، بينما الهجوم ، وان كان الشكل الاضعف ، فهو ذو هدف ايجابى . لذا فالدفاع المطلق يتناقض مع طبيعة الحرب ذاتها التى تهدف ــ بطبيعة الحال ــ الى تحقيق هدف سياسى ، بينما الدفاع لا يمكن أن يكون وسيلة للحصول على هدف سياسى . وعلى ذلك يجب على الدفاع أن يضع لنفسه هدف اللجوء الى الهجوم ، فالدفاع فى حد ذاته ليس عملية حربية كاملة ، وأن السرعة والعنف فى اتخاذ الهجوم هى أكثر النقاط بريقا فى الدفاع . وأنه حتى لو أجبرت القوات على اتخاذ وضع الدفاع ، فان المعركة الدفاعية نفسها يمكنها أن تنجح فقط عندما تتحول الى الهجوم .

التفوق النوعى والسلاح الذرى

أصبح الاسرائيليون يدركون أن التفوق النوعى الذى يعتقدون أنهم يتمتعون به ــ فضلا عن الهوة الكبيرة بين اسرائيل والدول العربية والتى لا يمكن تقليصها ــ قد لا يستمر الى ما لا نهاية .

يقول الاستاذ « مردخاى ابير » من الجامعة العبرية : بتاريخ ٧ ــ ٥ــ٧٥ : « ان اسرائيل ــ ستحتفظ ــ خلال السنتين أو الثلاثسنوات المقبلة ــ بتفوق عسكرى على الدول العربية على الرغم من قوة العرب الاقتصادية والسياسية المتزايدة . ولكن ، بعد ذلك ، قد

تخل الدول العربية بهذا التفوق ، وذلك بفضل المعدات العسكرية والخبرة التقنية التى تحصل عليها بأموال البترول » .

كما أشار « موشيه شمون » أحد كُتاب صحيفة عال همشمار الى التهديد الذى يتعرض له « التفوق النوعى الاسرائيلى » حين قال بتاريخ ١٨ ــ٤ــ٧٥ » أن المصريين قد يتمكنون بفضل الخبرة الغربية وأموال البترول ، واليد العاملة المصرية من سد الهوة التكنولوجية القائمة بسرعة نسبية » .

ولما كان العرب متفوقين عدديا على الجيش الاسرائيلى ، ولما كانت الهوة النوعيــة ــ التى يتحدث عنها الاسرائيليون ــ تتجه الى التقلص مع مرور الزمن ، كان لزاما على اسرائيل البحث الجاد عن بدائل يمكن أن تلجأ اليها كى تحتفظ بتفوق استراتيجى على الدول العربية . وأخطر هذه البدائل هو الخيار النووى الذى يهدف الى اقامة ميزان رعب يردع العرب عن مهاجمة اسرائيل . والجديد فى هذا الموضوع ، أن رئيس الاركان الاسرائيلى قد ألمح الى هذا الخيار بصفة رسمية فى يونيو ١٩٧٥ بقوله : « انه يمكن التنبؤ بتغيير ثورى فى الشرق الاوسط خلال ١٠ ــ ١٥ سنة ، مع انتشار السلاح الذرى وتطور أشعة ليزر » . كما أعرب رئيس الاركان عن آماله بأن يخلق هذا السلاح فى المنطقة ميزان رعب يقلل من خطر الحرب .

وليس من الصعب لافتراض أن انتشار السلاح الذرى فى الشرق الاوسطيمكن ان يدخل تغييرا ثوريا فى المنطقة . وينطبق نفس الشىء على سلاح الليزر بتطويره يمكن استخدام أشعته كسلاح تدميرى . ولكن الامر الذى يصعب فهمه هو الاعتقاد أن انتشار السلاح الذرى سيقلل من خطر الحرب .

لقد حدد « جور » فترة ١٠ ــ ١٥ سنة لقيام ميزان الرعب النووى فى الشرق الاوسط . والتفسير الممكن لذلك ، هو أن الاسرائيليين يتوقعون ان تستمر الدول العربية فى تعبئة طاقاتها الاقتصادية والبشرية لبناء قاعدة علمية وصناعية تشكل أساسا لتحسين مستوى جيوشهم . وبالتالى لابد وأن تأتى فترة يصبح فيها ناتج المعادلة بين الكم والكيف لدى العرب متقدما على ناتج تلك المعادلة لدى اسرائيل . وربما توصل الاسرائيليون الى اعتقاد أن تلك الفترة

ستكون بعد ١٠ ـ ١٥ سنة . وخلالها سيكون أمام اسرائيل بديلان رئيسيان ـ غير القبول « بحل عربى » يفرض عليها ـ وهما : ـ

١ ـ عقد معاهدة دفاعية مع الولايات المتحدة كما اقترح السناتور السابق وليام فولبرايت .

٢ ـ اختيار البديل الذرى لحماية نفسها .

لقد رفضت اسرائيل قبل وبعد حرب اكتوبر القبول بأى شكل من الاشكال بالبديل الاول . ومن غير المرجح أن يلجأ الاسرائيليون الى ذلك البديل دون ربطه ببدائل أخرى تبقى لاسرائيل الصورة التى تحاول أن تظهرها لنفسها من أنها دولة قائمة بذاتها ، وتستطيع بقوتها الاستمرار فى الحياة ، وبذلك يرجح البديل الثانى . ويمكن ، فى حالة اختياره أن تعلن الولايات المتحدة ـ بموافقة اسرائيلية ضمنية ـ أنها تتعهد بحماية اسرائيل لمنع نشوب حرب ذرية فى منطقة الشرق الاوسط .

ولقد كتب دكتور « ايلان داوتى » رئيس قسم العلاقات الدولية فى مجلة « الدولة والحكم والعلاقات الدولية » التى تصدرها الجامعة العبرية فى القدس . . كتب يقول : « ان سياسة اسرائيل الذرية كما تحددت توجد فى مكان ما على الخط . . . بين خيار ذرى لعام أو عامين وبين احتفاظ بمنشآت ذرية لم تتم تجربتها والنقطة الدقيقة فيها ستظل محمية فى المستقبل القريب » ولكن . . . ما هو الخط الاحمر ! ؟ يقول « الياهو سلبيتر » فى هآرتس بتاريخ ٢٠ ـ ٦ ـ ٧٥ : معنى الامر أن العرب ملزمون اليوم بأن يضعوا فى الحسبان ، على الاقل ، قدرة اسرائيل على ان تحول ـ خلال وقت قصير وربما تم لها ذلك فعلا ـ وضعها الذرى من مجرد امتلاك منشآت ذرية الى امتلاك أسلحة عسكرية ذرية . وعلى العرب أن يضعوا فى الاعتبار أيضا أن اسرائيل قد تستخدم سلاحا ذريا من هذا النوع عندما تعتبر أن وجودها ذاته أصبح فى خطر . ومن ناحية أخرى ، لا يستطيع زعماء العرب ان يعرفوا بالتأكيد والضبط ما هو « الخط الاحمر » الذى يعتبر عبوره تهديدا لكيان الدولة . ولا يستطيع العرب ولا اسرائيل أن يكونوا واثقين بالنسبة لمسألة رد فعل الدول الكبرى اذا ما أذاعت اسرائيل ـ فى وضع خطير ـ انذارا ذريا ضد المساس بذلك « الخط الاحمر » .

وفي هذا الوضع يقف العرب أمام أمرين مؤكدين في صالح اسرائيل [قدرة اسرائيل الذرية المتفوقة ،ووجود « الخط الاحمر » في مكان ما على الخريطة الجغرافية أو السياسية العسكرية] » وأمام ثلاثة آمور غير مؤكدة : ـ

ـ ما هو الوقت اللازم لاسرائيل للانتقال من وضع ى الوضع ؟

ـ أين « الخط الاحمر » بالضبط ؟

ـ ماذا سيكون رد فعل الولايات المتحدة . والاتحاد السوفيتي ؟

« اما اسرائيل ـ ففي مقابل هذا ـ تقف فقط أمام عدم التأكد من رد فعل الدول الكبرى . ويفهم من هذا اذن ، ان اسرائيل منتصرة في الوضع الحالي ، ليس من ناحية القدرة فقط ، ولكن من ناحية الردع أيضا . وبما أن كل سياسة ذرية منطقية مبنية على خلق ظروف تمنع الحاجة الى ترجمة الردع الى تنفيذ ، فان انعدام التوازن الذي هو في صالح اسرائيل يقلل من خطر الاعمال العربية التي تستطيع أن تؤدي باسرائيل الى اتخاذ قرارات يائسة . » وانعدام توازن كهذا معناه أيضا أنه لا يجب على اسرائيل أن تهتم « بقدرة الضربة الثانية » ولذلك لا تعيش تحت ضغط لدفع تطوير وسائل التفجير وأجهزة الاطلاق اللازمة لضمان « قدرة الضربة الثانية » .

وفي مقابل هذا ، ماذا سيحدث عندما يتضح آن العرب قد حصلوا على قدرة ذرية خاصة بهم أو ـ كتعبير رئيس الاركان « موردخاي جور » ـ « نشأ ميزان الرعب النووي »!؟ ستقف اسرائيل أمام أمر واحد مؤكد وهو قدرة ذرية عربية ، وأمام امرين غير مؤكدين هما أيضا في صالح العرب : أحدهما بالنسبة للوقت الذي سيكون لازما للعرب » .

لقد دار نقاش أكاديمي علني في اسرائيل عقب تصريح رئيس الاركان ، وكان هذا النقاش ينتهي دائما بالتحديد بأن القوات الاسرائيلية متوفرة وقادرة على هزيمة العرب بالوسائل المألوفة ، بينما يستطيع العرب ايقاع الضرر باسرائيل بقدر أكبر مما تؤذيهم هي اذا ما دخلت المنطقة أسلحة ذرية . وتقول جريدة هآرتس بتاريخ ٢٩ ـ ٧ ـ ٧٥ في هذا الشأن ـ ـ

« في رأينا ، حدثت في الشرق الأوسط التغيرات التالية التي تستوجب اعادة تقيم موقفنا الاستراتيجي السياسي :

ـ هناك خوف معقول لاول مرة منذ حرب التحرير ، بأن نسبة القوى العددية بين الجيش الاسرائيلى والجيوش العربية ستتغير خلال عشر سنين بصورة خطرة لغير صالحنا .

ـ لاول مرة منذ صفقة الاسلحة المصرية ـ التشيكية منذ عشرين سنة بالضبط ، يخشى أن تعود الجيوش العربية الى السلاح الغربى والى استخدام التقنية الغربية وتصبح رويدا رويدا جيوشا سريعة الحركة مع التساوى أو التفوق فى الجو . فان المصالح المشتركة بين العرب والغرب سواء كان المقصود أوروبا أو الولايات المتحدة ، قد تحسم على مر السنين التدخل الغربى تجاه اسرائيل أو تحيده .

ـ أن استعداد الشعب الاسرائيلى لدفع ثمن الحروب لا يتزايد . وسيكون معدل الخسائر المتوقعة من اصطدامات آلاف الدبابات وفوهات المدافع كبيرا . وليس هناك احتمال سياسى للتمتع بثمرة نصر محتمل استمتاعا كاملا . . . وليس انتصار ٦٧ ببعيد !!

ـ ان التحسن المستمر فى وضع العرب الاقتصادى يتناسب تناسبا عكسيا مع وضع اسرائيل الاقتصادى ، حيث يتعين على اسرائيل مواجهة أربع مهام فى آن واحد : الامن ، والهجرة ، ورفع مستوى المعيشة ، والبناء الاقتصادى .

« فى هذه الظروف يجب دراسة عيوب ومزايا السلاح النووى بعناية . وتبدو العيوب وكأنها واضحة : اذا كان لدى اسرائيل مثل هذا السلاح ، فانه سيتوفر بسرعة لدى العرب أيضا . واسرائيل كلها هدف صغير ، ومعظم سكانها مكدس فى جزء من مساحتها سهل الاصابة . أما العالم العربى فيمتد من المغرب غربا الى العراق شرقا ومن سوريا شمالا الى السودان جنوبا وسكانه معظمهم قرويون ومنتشرون فوق مساحات شاسعة .

« وبما أن اسرائيل لا تستطيع أن تهدد كل هذه المساحة بصورة ناجحة ، فليس هناك من سبب يمنع الدول العربية من أن تتحرش بها ، حتى بعد ادخال السلاح الذرى فى المنطقة . فستحاربها بسلسلة حروب عادية لاسالة دمائها وتقويض اقتصادها دون أن تخشى انتقاما اسرائيليا ، مع أن فى استطاعتهم تحمله . ذلك أنه اذا تجرأت اسرائيل على الرد على الدول العربية بقنابل ذرية ، يكون

تدميرها هي مضمونا دون أن يضار العالم العربي بنفس القدر .
لهذا السبب لن تستخدم سرائيل الخيار الذرى الذى لديها ، وبذا تكون كمن يردع نفسه .

وتستطرد الصحيفة قائلة : « ان الرد على هذا الطعن مزدوج : اذا كان من الممكن تهديد العالم العربي كله بسلاح ما ، فان الوسيلة الوحيدة التى تمكن ذلك هى السلاح الذرى . وزيادة على ذلك ، يستطيع العربيبسلاح تقليدىاللحاق بناوسبقناخلالالسنوات العشر القادمة ، وبذلك سيقعون فى اغراء الايمان بأنهم يستطيعون — بصورة طبيعية — التغلب علينا بالدبابات والطائرات وبالمال والقوة السياسية . وسيثقل السلاح الذرى حساباتهم « وحسابات الدول العظمى » لان فيه عنصر عدم التأكد من الخطر بالنسبة للاضرار التى قد يحدثها . ويكاد الضرر الهامشي المتمثل فى بضعة آلاف من القتلى ، وحتى عشرات الاف من الجنود العرب ، يكون اغراء لا يمكن مقاومته من قبل الامة العربية ذات عشرات الملايين ، مقابل الجائزة المرتقبة ... وهى ايقاع ضرر مواز باسرائيل التى لا تملك احتياطيا ولا مصادر لتغطيته .

« وحتى الان لم يجند العالم العربي سوى جزء من مصادره لمحاربة اسرائيل . يقول المستشرقون ، ان ايمان العرب « بالنصر النهائى » يقوم على اساس أن تجنيد مواردهم لايزال فى مرحلة البداية فقط ، بينما كادت اسرائيل أن تصل الى نهاية امكانياتها . ويقوم هذا الايمان على نسبة القوى فى الرجال والسلاح والمال . ان السلاح الذرى هو احدى الادوات التى من شأنها أن تخيب الامال العربية ، ذلك انه يستطيع ان يسوى بين الاعداء الذين نسبة القوى البشرية والارض والمصادر الطبيعية الاخرى لديهم غير متوازنة . ويحصل على هذه المساواة اذا تجمعت لدى الخصم الضعيف كمية من السلاح الذرى ، تهدد خصمه القوى لدرجة أن يرتاع من الضرر ومن الالم المتوقعين له فى حالة الحرب .

« ان كمية من القنابل الذرية مثبتة فى اجهزة اطلاق مناسبة تستطيع ان توقع اضرارا جسيمة بالعواصم العربية كلها وتهدم السد العالى . وكمية اخرى تستطيع ايقاع الضرر بمدن أخرى وبمنشآت بترولية كما تستطيع القنابل الهيدروجينية أن تدمر

اهدافا ارضية بما فى ذلك التجمعات الفلسطينية فى لبنان اذا القيت مثلا فى البحر فى منطقة الهدف واحدثت موجات صدمة .

« وهناك نحو مائة هدف فى العالم العربى يؤدى تدميرها الى تغيير معالمه حتى لن يعود يعرف ، واصابة هذه الاهداف من شأنه ان تنتزع منه المزايا التى يتمتع بها منذ حرب يوم الغفران من بترول ومال ومكانة سياسية . اذن فالضرر الهامشى الذى يجب اخذه فى الاعتبار هو ضرر عظيم مقارنا بالضرر الهامشى الذى يصيب اسرائيل على اى حال - ى سواء تم التدمير بسلاح عادى او بسلاح ذرى . كذلك الضرر الهامشى للعالم كله - وخاصة للغرب - سيكون كبيرا جدا ، بمثابة « خاطرة لا يمكن حسابها » ، كما يحلو للدكتور كيسنجر أن يقول .

« وهذا الضرر الهامشى لايجب ان يتحقق ، بل ليكون عاملا يوضع دائما فى اعتبار من الاطراف . هذا هو أساس نظرية الردع الذرى التى مرت بعدة تطورات منذ هيروشيما . واليوم من المألوف الافتراض انك لست فى حاجة الى تغطية كاملة بالقوة الذرية لكى تردع خصما عن الحرب . ان معدلا معينا من الضرر بجزء من الاهداف الرئيسية لعدو ، يكفى . فعلى سبيل المثال ، ليست الولايات المتحدة بحاجة الى مطاردة قبائل المغول فى روسيا الوسطى بالمطرقة الذرية . ان تهديد المراكز السياسية والاقتصادية الاساسية فى الاتحاد السوفيتى يرفع ثمن التحرش السوفيتى لدرجة يشك معها فيما اذا كان الكرملين يجازف بفقدانها حتى ولو دمر مدنا امريكية ، فالضرر لا يساوى الفقدان .

« بنفس المقدار يمكن الشك فى مجازفة الانظمة العربية بفقدان القاهرة ودمشق وحمص وحلب وبنغازى وطرابلس مقابل تدمير اسرائيل ، اذ انهم حتى لو دمروها لن يبقوا هم ولا دولهم ولا الامة العربية كلها بنفس الصورة وبنفس الامكانيات التى فتحت امامهم منذ اكتوبر ١٩٧٢ .

« مقابل هذا الادعاء يقول معارضو السلاح الذرى انه يجوز حقا ردع السادات ، لكن ماذا سيكون الحال مع القذافى وجورج حبش ونايف حواتمه : فى رأينا ، انه يمكن ايضا ردع القذافى بمساعدة اجهزة

اطلاق ملائمة لانه رئيس دولة ستضرر ضررا هامشيا كبيرا من استخدام أسلحة ذرية فى المنطقة .وسيترتب عليه وعلى جميع العرب أن يعرفوا انهم سيكونون جميعا مسئولين وتقع عليهم العقوبة اذا لعب أحدهم بالقنابل الذرية ، ذلك لان اسرائيل سترد ردا مكثفا ضد كل العالم العربى ، اذا وصل سلاح كهذا الى أيدى حبش وأمثاله ، وعليهم ان يعرفوا على وجه الخصوص ان من بين الاهداف التى ستضار معسكرات اللاجئين فى لبنان والاردن .

« من اجل ذلك يلزم خزن أسلحة ... مخزن منـــاسب لهذا السلاح . ولا يكف البروفيسور شمعون يفتاح » — من التخفيون — عن التحذير من أن العرب قد يلحقوا بنا فى بناء الافران وأن اسرائيل لكونها غارقة فى مسافات زمن تقدر بسنتين أو ثلاث ، لسنا فيها معرضين بطبيعة الحال لخطر يهد كيانا — تهمل بناء افرانها . ان هذا الاهمالقريب من الاجرام » .

ومن الملاحظ ان اسرائيل — ومن ورائهــا امريكا — تحــولت استراتيجيتها بالنسبة للاسلحة النووية — فى اعقاب حرب اكتوبر — من مرحلة ترك الدول العربية والعالم أجمع فى حالة شك من امتلاك اسرائيل لهذه الاسلحة الى مرحلة الايهام بامتلاكها فعلا . والدليل على ذلك :

— اعلن الرئيس الاسرائيلى « افرايم كاتزير » فى اجتماع له بالمراسلين العسكريين بالقدس المحتلة فى اول ديسمبر ١٩٧٤ « ان اسرائيل تملك طاقة نووية ، واننا ننتج حاسبات صغيرة ومعدات عسكرية وقد طورنا أنواعا مختلفة من الاسلحة » .

— صرح ويليام بيتشر المساعد السابق لوزير الدفاع الامريكى بتاريخ ٣١ — ٧ — ٧٥ بأن الولايات المتحدة تعتقد ان اسرائيل تمتلك أكثر من ١٢ قنبلة ذرية .

— صرح موشى ديان فى أواخر فبراير ١٩٧٦ ، بأن خطورة موقف اسرائيل بالنسبة للدول العربية التى تمتلك قــدرات سياسية واقتصادية هائلة تحتم ضرورة الاختيار النووى بالنسبةلاسرائيل مستقبلا دون سيطرة اجنبية .

ـ نشرت الواشنطن بوست بتاريخ ١٥ ـ ٣ ـ ٧٦ ـ وأيدتها النيويورك تايمز فى عددها الصادر فى اليوم التالى ـ بان وكالة المخابرات المركزية الامريكية تؤكد وجود ١٠ ـ ٢٠ قنبلة ذرية لدى اسرائيل جاهزة للعمل .

ـ ذكرت التايم فى اوائل ٧٦ ، ان اسرائيل تمتلك ١٣ قنبلة ذرية ، وانها كانت على وشك الشروع فى استخدام مالديها من اسلحة ذرية خلال حرب اكتوبر فى الوقت الذى ساءت فيه الامور بالنسبة لها ، ثم عدلت عن ذلك عندما تحول سير القتال لصالحها.

والرأى عندى ـ بالنسبة لهذه المسألة الخطيرة ـ يتلخص فى الاتى :

١ ـ لما كان مبدأ التفوق والردع هو احد اهم اسس نظرية الامن الاسرائيلى ، فان اسرائيل ـ بعد ان عانت من ضغوط المقاتل العربى ومن نوعية أسلحته فى حرب اكتوبر ٧٣ ـ لابد وان تكون قد بحثت عن سلاح ردع جديد ـ هذا ان لم تكن قد فعلت ذلك من قبل ـ وانها قد امتلكت فعلاً السلاح الذرى على أمل ان يكون قوة ردع وتهديد وتخويف للعرب .

٢ ـ ان موقع اسرائيل الجغرافى واحاطتها باعداء من كل جانب تقريبا يحتم عليها امتلاك سلاح فعال لايملكه جيرانها فى الوقت الحاضر على الاقل ... وهذا السلاح هو السلاح النووى .

٣ ـ ان اسرائيل لن تستخدم هذا السلاح ـ ضد العرب ـ الا فى حالة واحدة ... وهى تعرض كيانها وبقائها للخطر .

٤ ـ ان كثرة الحديث داخل اسرائيل عقب الحرب مباشرة عن امتلاكها لاسلحة ذرية هو نوع من الابتزاز ، فهى تهدف الى بث الرعب فى قلوب العرب لكى يدركوا ان مواجهة اسرائيل تكاد تكون امرا مستحيلا بعد ان تكون قد تسلحت ذريا . ومن ثم ، فعلى العرب ان يقبلوا شروط اسرائيل للتسويه . اى «السلام الاسرائيلى» . وقد يكون السبب ايضا بث الطمأنينة فى نفوس الشعب والجيش الاسرائيليين بعد هزيمة يوم عيد الغفران .

واذا قيل ردا على ذلك ، ان الولايات المتحدة لن تسمح لاسرائيل

باستخدام الاسلحة النووية خوفا من انهيار المعادلة النووية العالمية وتجنبا لمواجهة سوفيتية ، يكون الرد ان اسرائيل ستوافق على عدم استخدام القنبلة فى حالة واحدة ، هى أن تقدم لها الولايات المتحدة كل ما تطلبه من أسلحة تقليدية حديثة ومتطورة ؛ وأن تضمن لها فى نفس الوقت استمرار هذا الامداد بحيث لاتتعرض الى هزيمة من اى نوع فى أى مواجهة مقبلة . والمثير للسخرية أن النتيجة التى تريد اسرائيل تحقيقها فى كلتا الحالتين واحدة ، وهى أن تفرض شروطها سواء باستخدام او بعدم استخدام القنبلة الذرية .

٥ ــ من المرجح أن حرص الصحف الامريكية أخيرا على نشر هذه الاخبار يأتى فى اطار التسريب المتعمد من قبل الادارة الامريكية بغرض :

أ ــ مواجهة الحملة الاسرائيلية ضد بيع طائرات النقل س ــ ١٣٠ لمصر .

ب ــ مواجهة الحملة الاسرائيلية ضد الرئيس فورد لمحاولته اقتطاع مبلغ ٥٠٠ مليون دولار من المساعدات عن العام القادم .

جـ ــ محاولة الضغط على اسرائيل لحثها على التحرك نحو حل قضية الشرق الاوسط ، خاصة وسط الجو المهيأ حاليا داخل الرأى العام ، والذى تعكسه الصحف بما فى ذلك الحملة ضد الاحتلال الاسرائيلى وهذا الموقف الاسرائيلى ومغالاتها فى التسليح وطلب المعونات .

٦ ــ ان اسرائيل غالبا ما تنظر الى المسألة من جانب واحد ناسية أو متناسية أمرين هامين : أولهما ، أن العرب مستعدون وقادرون على تحمل أى مخاطر فى سبيل تحقيق أهدافهم ، وانهم مستعدون لدفع ثمن ذلك مهما كان غاليا . وثانيهما : ان العرب قادرون على امتلاك السلاح الذرى سواء عن طريق الانتاج أو عن طريق الحصول عليه من الخارج . وفى هذه الحالة قد يتمسكون بصيغة اسحق رابين التى تنص على الاتى : « ان اسرائيل لن تكون البادئة بادخال الاسلحة الذرية ، لكنها لن تكون ايضا الدولة الثانية التى تفعل ذلك فى المنطقة » . هذا مع استبدال كلمة اسرائيل لتكون الدول العربية .

واخيرا اختتم تعليقى عن حقيقة موقف اسرائيل من القنبلة الذرية بتصريح السيد الرئيس صحيفة اطلاعات الايرانية فى اوائل يونيو ٧٦ « اننى اعتبر ان مسألة الطاقة النووية التى آثارها الاسرائيليون تعتبر أساسا جزءا من الحرب النفسية التى يحاولون دائما تخويفنا بها . وليس من السهل تخويفنا على الاطلاق ، وحتى اذا كانت اسرائيل تمتلك القنبلة الذرية . لقد قلت ذلك وأقوله مرة أخرى ، اذا قامت اسرائيل بادخال الاسلحة الذرية الى المنطقة هنا ، فان عليهم أن يواجهوا النتائج المترتبة على ذلك . وانى لن أقول ما الذى سأفعله ، ولكنى أقول تعليقا مثل ما قلته عندما ألقوا القنابل على مدرسة الاطفال هنا فى عام ١٩٧٠ . انى أقول ان اسرائيل لن تمر بدون عقاب . ولقد أنزلت بهم العقاب بعد ثلاثة أعوام من وقوع هذا الحادث . حسنا ، اذا كانوا سيدخلون الاسلحة الذرية فى المنطقة ، فعليهم ان يواجهوا النتائج ، ولن نقف مكتوفى الايدى » .

استغلال القوة البشرية

١ ــ يشعر الاسرائيليون بنقص كبير فى القوة البشرية عن العرب . وفى هذا يقول العميد « موشيه بيليد » قائد سلاح المدرعات الاسرائيلى : « ان المشكلة الرئيسية لجيش الدفاع الاسرائيلى ليست الحديد بل الرجال . وهذا لا يعنى أن موضوع السلاح بهذه الدرجة من البساطة ، فالعبء المالى الكبير وطول الوقت حتى استلام المعدات لا نظير له . ولكن ، فى نهاية الامر يحصل جيش الدفاع على ما يلزمه . وليس الامر كذلك فى مجال القوة البشرية ، فالرجال لا يشترون ، وسنظل دائما أقلية مقابل أغلبية ، ودائما سنشعر بالعجز فى القوة البشرية . لقد شعرنا بهذا فى حرب عيد الغفران . ولو كان لجيش الدفاع مجموعة عمليات واحدة أخرى على الجبهة المصرية لكانت نتيجة الحرب أحسن بالنسبة لنا » .

وبالرغم من أن هذا القول صحيح فى جوهره ، الا أنه يتجاهل امرين عن عمد . أولهما ، أن اسرائيل تشترى الرجال من أمريكا وبعض الدول الاوروبية وتسميهم متطوعين ــ ولا أقول مرتزقة ــ وتغدق عليهم بسخاء . وثانيهما ، ان كل قائد يواجه فى كل موقف تقريبا مشكلة نقص القوات التى تحت تصرفه للوفاء بالمهام المكلفة

بها ، ودائما يقول « لو كان عندى قوات أكثر ! » صحيح أن حجم القوات عامل اساسي ، ولكن ليست العبرة بالحجم فى المقام الاول بل فى كيفية استخدام القوات التى تحت قيادتك .

وبالرغم من أن الهوة الكمية بين اسرائيل والدول العربية كبيرة جدا بحيث لا يمكن تقليصها بصورة مؤثرة ، الا أن اسرائيل اتخذت خطوات عديدة فى محاولة تحسين هذه الناحية قدر المستطاع .

وأهم هذه الخطوات :

أ ـ زيادة عدد المجندين سنويا . وقد أمكن أخيرا تجنيد قسم كبير من القائمة السنوية المسجلة وصل الى حوالى ٩٠ فى المائة ممن ينطبق عليهم التجنيد .

ب ـ قفل الثغرات امام التسلل والتهرب من التجنيد وتقليل عدد المعفين من الخدمة . واحدى هذه الوسائل فى هذا المجال هى تغيير نظام اللياقه الصحية . ولقد صرح رئيس الاركان الاسرائيلى بقوله « يتحول الجيش الان الى جيش أكثر عصرية وتطورا . كما أن قسما كبيرا من المعدات الحربية لا يتطلب قدرة بدنية بالذات ، بل قدرة ذهنية . ولذلك فانا نستطيع أن ندخل الى الجيش مجموعة من الافراد الذين لم يكن يشملهم التجنيد فى الماضى بسبب عيوب فى لياقتهم البدنية » .

جـ ـ استدعاء آلاف من الشبان الذين قد سبق اعفاؤهم ـ يقول « زئيف شيف » ـ : « كشفت حرب عيد الغفران عن عدد من الامور الغريبة [يلاحظ أن هذه الامور الغريبة كانت موجودة من قبل ولكن لم يكشف عنها لقناع أو على الاقل لم تنل أى اهتمام الا بعد الهزيمة] . فمثلا ، وجد عشرات الالاف من الاسرائيليين فى سن الاحتياط ولم يسبق أن استدعوا بالمرة لاداء الواجب لا فى جيش الدفاع ولا فى الدفاع المدنى . وقد فصل اغلبهم من الخدمة لاسباب كانت شرعية فى حينها ، ولكن لم يفحص أحد طوال هذا الوقت هل هذه الاسباب ما زالت موجودة . ففى بداية الحرب وجد أن ١٤٧٫٠ الف فرد لم يؤدوا أى نوع من الخدمة العسكرية .

ولقد أنهت اسرائيل فى أواخر مارس ٧٦ عملية اعادة الكشف الطبى على المعافين من الخدمة العسكرية ، والتى كانت قد بدأت فى

نهاية عام ١٩٧٤ فى نطاق محاولات زيادة حجم القوة البشرية فى الجيش الاسرائيلى . ولقد كان مقررا ان تنتهى هذه الحملة فى أكتوبر ٧٥ الا أنها امتدت الى مارس ٧٦ للاسباب الاتية ،

١ ـ وجود بعض الاخطاء فى سجلات وزارة الداخلية .
٢ ـ زيادة عدد الافراد المتهربين من الخدمة العسكرية والذين بلغ تعدادهم حوالى ١٢ الف فرد .

ولقد تم الكشف على حوالى ١٠٠ الف فرد من بين الـ ١٤٧ الف فرد الذين كانوا معافين من الخدمة العسكرية لاسباب صحية او غير صحية . وقد نجح الجيش الاسرائيلى فى اعادة حوالى ٢٧ الف فرد الى الخدمة العسكرية والمؤسسات العسكرية الاخرى (٢٥٠٠ للخدمة النظامية ـ ٧٥٠٠ للخدمة الاحتياطية ـ ٢٧ الفا للدفاع المدنى) .

د ـ الغاء الاستثناءات التى كانت تعطى لهيئات التدريس بالاكاديميات ومعاهد البحث العلمى .

هـ ـ اتخاذ الاجراءات لسرعة عودة أى افراد احتياط يحدث أن يكونوا خارج اسرائيل وقت بدء أى حرب قادمة ، واضعين فى الاعتبار ان من خصائص اليهود الانتشار فى كل مكان فى العالم .

و ـ زيادة القوه المقاتله على حساب المؤخرة الادارية ، بمعنى زيادة عدد الافراد المقاتلين وبالتالى زيادة عدد الكتائب والالوية والفرق [مجموعات العمليات] التى تقاتل فى الميدان على حساب الهيئات والإدارات وباقى الاجهزة التي تتواجد في القاعدة لتخدم القوات التى فى الميدان ، حتى بلغ ماتم تحويله من الاداريين الذين اصبحوا مقاتلين حوالى الثلث .

وبسبب هذه الاصلاحات ، أصبحت قوات الدفاع الاسرائيلية تملك عدة فرق مدرعة اضافية وكفاءة اكبر للمدفعية والمهندسين ، مع مصاحبة قوة الطيران . ومقابل ذلك كله كان من الضرورى تخفيض عدد افراد المشاه مع تحسين معداتهم وأسلحتهم ومستوى تدريبهم وجعلهم جميعا مشاة ميكانيكية .

وتختلف المعلومات من مصدر الى مصدر عن نسبة الزيادة فى مختلف أفرع قوات الدفاع الاسرائيلية ـ شأنها شأن أى شىء فى

اسرائيل ، حيث لا شيء مؤكد رغم عدم حرص وتحفظ المسئولين في تصريحاتهم ـ فبينما يصرح رئيس الوزراء أمام الكنيست في فبراير ١٩٧٥ ، بأنه طبقا للتوقعات ، ستتعاظم قوة الجيش حتى نهاية عام ٧٥ في وسائل القتال الرئيسية على النحو التالى ،

دبابات : زيادة بنسبة ٥٠ في المائة ـ مركبات قتال مدرعة : زيادة بنسبة نحو ٥٠ في المائة ـ مدافع : زيادة بنسبة ٨٥ في المائة ، يشير أحد التقارير الى أن الزيادة في سلاح المدفعية قد بلغت فعلا ٢٥ في المائة وفي المدرعات ١٥ في المائة وفي الطيران ١٠ في المائة ، ثم يشير تقرير آخر الى ان كتائب المدفعية قد تضاعفت ثلاث مرات .

واخيرا يطالعنا تقرير المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية بأن قوات الدفاع الاسرائيلية زادت من ٣٠ الف قوات نظامية ، ٨٥الف مجند قبل الحرب الى ٣٤ ألف نظامى ، ١٢٢ الف مجند . وانه بعد اتمام التعبئة يرتفع العدد الاجمالي خلال ٧٢ ساعة الى ٤٠٠ الف مقاتل مقابل ٣٠٠ مقاتل في عام ١٩٧٣ .

٢ ـ الحرس المدنى

انشىء في أواخر عام ١٩٧٤ بفكرة حراسة سكان الاحيـــاء والمجمعات السكانية . ومن هنا ، فان الدافع الاساسى هو ان الافراد يحرسون بيوتهم وعائلاتهم وأولادهم . وان فكرة كهذه من الصعب تنفيذها في مراكز المدن حيث تقل الجماهير العادية ، أو أنها متقدمة في السن ، وغالبية المنازل هي محلات تجارية ومشاغل ومكاتب .

وصرح « موليه كوهين » قائد الحرس المدنى : « ان مشكلة حراسة هذه النقاط الحساسة يجب أن تحلها قوات الامن النظامية مثل الشرطة والدفاع المدنى . إن النجاح الاساسى للحرس المدنى هو الردع » .

إن صفوف الحرس المدنى تضم مواطنين من مختلف الاعمار بما فيهم العاملون في الجيش النظامى والاحتياطى يقومون بمهمة الحراسة في مكان سكنهم بمافيهم قائد الحرس المدنى نفسه ووزير الشرطة .

ولقد بدأ الحرس المدنى صغيرا ، ثم أخذ يتزايد بمعدل حوالى الف متطوع اسبوعيا . رجل وامرأة حتى بلغ في نوفمبر ٧٥

حوالى ١١٠٠٠ الاف شخص ثم الى حوالى ١٢٠٠٠ الف شخص فى مايو ٧٦ وبلغت آخر ميزانية له ٤٧ مليون ليرة . وتتضمن هذه القوات عناصر من الدروز ، بلغ حجم المتطوعين منهم حتى مايو ٧٦ حوالى ٢٠٠٠ متطوع يقومون بأعمال الحراسة فى قراهم او فى بعض المدن مثل حيفا وتل أبيب .

ويتضمن تسليح الحرس المدنى البندقية م ـ ١ والكاربين الامريكية وهما سلاحان جيدان وخفيفا الوزن . وتبذل الجهود حاليا لتزويد أعضاء الحرس باجهزه اتصال مع اعدادهم اعدادا أفضل وتدريبهم على استعمال الاسلحة التى بين ايديهم . والمطلوب أن يزيد العدد بحيث لا يضطر الفرد للحراسة اكثر من مرة (٣ ـ ٤ ساعة) كل أسبوعين) . ولقد أمكن تحقيق ذلك فى أغلب الاماكن ، اما فى بعض الاماكن الاخرى فمرة كل اسبوع واحد .

وفى نطاق رفع الروح المعنوية لهذه القوات وبمناسبة احتفالات اسرائيل بيوم الاستقلال تقرر منح متطوعى الحرس المدنى ذوى الكفاءة العالية اشارة متطوع فى الحرس المدنى .

٣ ـ الجدناع :

ـ تقوم شركة الكهرباء حاليا بتدريب افراد الجدناع من طلبة التخصصات الكهربائية فى المدارس على تنفيذ أعمال الصيانة والاصلاح لشبكة الكهرباء . ويدخل ذلك فى نطاق مواجهة النقص فى عمال الصيانة بالشركة فى أوقات الطوارىء كأحد الدروس المستفادة من حرب اكتوبر .

ـ كما تقرر استغلال تلاميذ المدارس المهنية (الجدناع) أيضا للعمل فى المصانع أثناء فترات الطوارىء .

٤ ـ التطوع :

ـ تقرر فتح باب التطوع لمختلف الاعمال للعمل بمعسكرات الجيش الاسرائيلى فى تنظيف المعدات وتعبئة العتاد من جديد وقت الطوارىء .

ـ كما فتح باب التطوع للمسرحين من الخدمة العسكرية والذين يملكون سيارات خاصة للعمل فى أيام الطوارىء كأطقم استدعاء

لتوصيل اوامر الاستدعاء للافراد نظير انهاء استدعائه عقب تنفيذ مهمته الخاصة بتوصيل أوامر الاستدعاء خلال ٢٤ ـ ٤٨ ساعة فقط .

ـ ضرورة توفير أعداد احتياطية من الاطباء المتطـــوعين من الخارج عند بدء العمليات يقومون بالخدمة فى المســتشفيات الرئيسية ، مع الاهتمام بالعلاج الاولى للجرحى بواسطة الاطباء فى الجبهة وفى محطات اخلاء الجرحى بالكتائب .

٥ ـ الناحال :

اتخذت رئاسة الاركان الاسرائيلية فى يناير ٧٦ قرارا باجراء بعض التعديلات فى نظام الخدمة بالناحال ، على أن يبدأ تنفيذها اعتبارا من ابريل ٧٦ . وأهم هذه تعديلات :

ـ زيادة فترة التدريب الأساسى لمدة ٦ أسابيع بهدف رفع الكفاءة القتالية لافراد الناحال .

ـ استحداث فترة خدمة مشتركة لافراد القوات معا فى نطاق كتائب الناحال لتنفيذ المهام القتالية والامنية ، على أن تأتى هذه الفترة فى أعقاب فترة الخدمة فى المستعمرة الانتقالية ، والتى تم تخفيضها من سنة الى ستة اشهر فى إعقاب حرب اكتوبر ، . وقد انعكس هذا التعديل فى تحقيق الميزات التالية :

● زيادة فترة بقاء أفراد النواة معا وهو هدف أساسى للناحال لزيادة الروابط الاجتماعية والاستيطانية بين أفراد النواة .

● زيادة كفاءة كتائب الناحال فيمايتعلق بتنفيذ مهامها القتاليـة والامنية بالنظر الى زيادة القوة البشرية المخصصة لها .

● اعطاءطابع عسكرى أكثر لافراد الناحال بتقليل مدة الخدمة بدون أجر .

ـ اتاحة الفرصة لافراد الناحال فى المظلات والمدرعات للتأهيل والترقى لرتب الضباط مقابل التعهد بالتوقيع على مدة خدمة ستة شهور اضافية .

٦ ـ متنوعات :

ـ قصر تولى منصب قيادة مجموعة سمكيات (غرقة) العاملة أو الإحتياطية على رتبة اللواء من الخدمة العاملة ، على ان يتولى

الضباط من نفس الرتبة من القوات الاحتياطية مناصب المستشارين لمعاونة القادة في حالات العمليات أو الاستدعاء .

ـ تشكلت لجنة لدراسة أوضاع وامكانية تحسين ظروف الخدمة للضباط والصف والجنود المتطوعين بالخدمة الدائمة بالنسبة لمدة الخدمة (عقد التطوع) ، والاوضاع المالية والادارية والتنظيمية ؛ السماح بالدراسات المدنية الجامعية ،توفير المساكن المناسبة ؛ تسهيل الحصول على عربات خاصة أو أميرية .

ـ رفع سن واجبات تأدية الخدمة في أعمال الحراسة من ٥٥ سنة الى ٦٠ سنة .

ـ زيادة مدة استدعاء الافراد غير الخاضعين للخدمة العسكرية العاملة أو الاحتياطية لاداء مهام أخرى حيوية من ٣٠ أيام الى ١٢، يوما كل ٣ شهور .

الحدود المتفق عليها

أصبحت اسرائيل اليوم أكثر ميلا الى قبول مفهوم « الحدود المتفق عليها » بدلا من مفهوم « الحدود الامنة » التي تستند الى موانع طبيعية أو صناعية قوية ، والتي تخفي في واقع الأمر سياسة التوسع ، ولكن بشرط هام وهو ضرورة وجود مناطق منزوعة السلاح .

يقول اللواء (احتياط) « متتيا هوبيليد بتاريخ ٧ـ١٢ـ٧٢ « ان الدرس العسكرى البارز من حرب الايام الستة هو ان مصلحة اسرائيل ليست فى توسيع حدودها ، وانما في ايجاد مناطق مجردة واسعة على امتداد حدودها ، على العدو ان يجتازها فى العلن وحدث ... يتم التشويش والتشويش على جميع اجهزته . وفي هذا الوضع ؛ يمكن تعبئة القوات الخفيفة الحركة والسريعة التابعة لجيش الدفاع الاسرائيلي ، وتنظيمها وحشدها كي تضرب قبل فوات الاوان » .

من الغريب ان اسرائيل لم تفكر فى « الحدود الامنة » الا بعد انتصارها فى يونيو ٦٧ ، واستيلائها على اراض شاسعة ترضى غريزة وعقيدة التوسع لديها ولو بصفة مؤقتة . وعندما حاولت أن تعرف الحدود « الامنة » اختارت تعريفا مضى عليه حوالى القرنين خاصا بالحدود « الطبيعية » صاغه نابليون ، وحددها بأنها الحدود

التى تستند الى المرتفعات والممرات الجبلية والعوائق والمساحات المائية . وليس معقولا أنه فى عصر الصواريخ والطائرات النفاثة الاسرع من الصوت والحوامات والهوفركرافت والحرب الالكترونية والتكنولوجية العصرية ان تتذرع بنهر او قناة عرضها ٢٠٠ متر . قد يسهل النهر أو القناة الدفاع ، ولكنه لا يمكن أبدا أن يوفر الامن لمن يقف خلفه .

ويحضرنى بهذه المناسبة ، ما كان يتردد على الالسنة خـــلال الحرب العالمية الاولى عندما اتخذت القوات البريطانية مواقعها غرب قناة السويس « هل القوات هى التى تدافع عن القناة ، ام ان القناة هى التى تدافع عن القوات ؟ » .

يقول المؤرخ الاسرائيلى البروفيسور يعقوب تلمون : « فى رأيى، يجدر بنا — لاعتبارات سياسية — عدم الاصرار على الاراضى ، بسبب الحساسية الشديدة التى تكتنف كل تغيير اقليمى والمكسب المشكوك فيه الذى ينطوى عليه ، بل الاصرار على ترتيبات امنية كنزع السلاح . كى يكون هناك متسع من الانذار ، وعلى جيش الامم المتحدة ، ونقاط استراتيجية يحتفظ بها بالاستئجار ، دون ملكية او سيادة ، وعلى ضمانة امريكية وربما ضمانة دولة كبرى اخرى . ان التعاليم التى استقاها الشعب من الثلاثى المقرر فى الحكومة — مائير ، وديان ، وجاليلى — بشأن الحدود الامنة الواسعة وهى فى الحقيقة الضم الكامل ، غسلت الكثير من الادمغة حتى عدم القدرة على فحص المشكلة بصورة نقدية ومنطقية ودراسة النواحى النسبية للربح والخسارة ، والميزة والمخاطرة .

« ان الحدود الامنة هى الحدود المتفق عليها ، بل ان الحدود لا تكون آمنة الا عندما يكون متفقا عليها . . وعندما يتفق عليها وتقبلها جميع الاطراف تصبح عندئذ . . وعندئذ فقط حدودا « آمنة » .

ولقد صرح رئيس وزراء اسرائيل — اسحق رابين — وأكد أن مسألة الحدود ليست بالقضية المقدسة ، ولا هى أساس وجود اسرائيل . وحذر من أن الاسرائيليين يفقدون أحيانا الرؤيـــة الواضحة عندما يقرنون قضية الامن باستمرار سيطرتهم علـى المناطق المحتلة . . الى غير ذلك من الدعاوى المماثلة ، التى تربط بين سلامة اسرائيل وعدم التخلى عن سياسة التوسع والضم .

[ان التاريخ يدلنا على أنه غالبا ما حدث ان تسويات السلام القائمة على المواءمة بين متحاربين غير مهزومين أو لايجاد حل سلمى تقبله جميع الاطراف لصراع معقد مزمن لا يمكن حله عن طريق العمل العسكرى ، كانت أقوى وأطول عمرا ، اما تسويات السلام التى يفرضها جانب على جانب آخر فى اعقاب نصر شامل كانت غير مستقرة ، وادت الى تجدد الصراع ، وولدت من المشاكل أكثر وأعظم مما حلت .

ولا شك أن الامن فى عصرنا الحالى يتطلب درجة من الاستقرار السياسى أكبر بكثير من حدود يمكن الدفاع عنها عسكريا .

ثانيا : التنظيم والتسليح :

تشكيل لجنة وزارية لشئون الامن :

فى اطارتنفيذ توجيهات لجنة اجرانات ، قررت الحكومة تشكيل لجنه وزارية لشئون الامن . وحددت فى اجتماعها بتاريخ ٢-٢-١٩٧٥ صلاحيات اللجنة وطريقة عملها كالاتى :

— مناقشة وتقرير الامور المتعلقة بهيكل الجيش وتنظيمه واستعداده ، وتزويده بالمعدات ، وما يتعلق بالبحوث والتطوير فى جهاز الدفاع، ومتابعة التطورات فى هذه المجالات .

— مناقشة وتقرير العمليات العسكرية فى إطار سياسة الحكومة وتوجيهاتها .

— تلقى معلومات عن المواضيع التى تتعلق بالمخابرات ومناقشة الشئون المبدئية التى تقع ضمن مجال أجهزة المخابرات ، واتخاذ قرارات بشأنها .

ومن المرجح ان عدد هذه اللجنة احد عشر عضوا بما فيهم رئيس الحكومة ، رغم ان توصيات لجنه اجرانات اوصت بألا يزيد العدد عن خمسة اعضاء حتى يسهل عليها البت فى القضايا المستعجلة الخاصة بادارة الحرب ، وكذا ضمانا للسرية بتحديد عدد من يتداول المعلومات والوثائق .

اعادة تنظيم جهاز المخابرات :

منذ أكثر من عامين أذاعت لجنة اجرانات توصياتها الجزئية وانتقادها الشديد لمخابرات الجيش الاسرائيلي . ومن بين هذه التوصيات :

ـ اجراء تغييرات جوهرية واساسية فى هيكل شعبة المخابرات العسكريه، وجهاز المخابرات بالكامل ، تضمن جعل مركز الثقل والتركيز للابحاث والتقديرات ينصب فى مجالات معلومات المخابرات العسكرية والاستراتيجيه والميدانية والتكتيكية (بما فى ذلك اعادة تنظيم « المخابرات الميدانية » وتمثيلها الملائم على مستوى هيئة الاركان) .

ـ تعيين مستشار خاص لرئيس الحكومة لشئون المخابرات (ليس من أفراد الجيش ، بل من الاحتياط) ، وينبغى ان يعمل الى جانب هذا المستشار فريق مقلص ولكنه متميز ، يستطيع مساعدة رئيس الحكومه وبالتالى مساعدة الحكومة بأسرها فى تقديم تقييم مستقل لمعلومات سياسية واستراتيجية ، استنادا الى جميع المواد المجمعة والمتوفرة لدى اجهزة الجمع المختلفة .

ـ تعزيز قسم الابحاث فى وزارة الخارجية بتنظيمه كهيئة مستقلة ضمن اطار الوزارة ، وعلى ان يكون أحد الاهداف الاساسية لهذه الهيئة تقديم تقييم مستقل لمعلومات سياسية ـ استراتيجية .

ـ تحديد قواعد توزيع واسترجاع مردود معلومات المخابرات الاولية بواسطة هيئات الجمع المختلفة .

ـ انشاء ـ ضمن إطار « الموساد » ـ وحدات تقييم المواد التى تجمعها وعدم الاكتفاء بتقييم شعبة المخابرات العسكريه .

ـ المطالبه باستبعاد اربعة من أكبر رجال المخابرات من العمل فى أجهزة المخابرات إزاء الاخطاء الفادحة التى ارتكبوها .

ان الهدف الاساسى من هذه التوصيات هو انشاء مراكز تقديرات اضافية من موضوعات مختلفة بالاضافه الى شعبه المخابرات العسكرية . وبدا يتحقق « التعددية » فى تقييم المعلومات .. وهو أمر فى غايه الاهميه .

ولقد تم تنفيذ جميع هذه التوصيات ، بما فى ذلك تعيين مستشار لرئيس الحكومة لشئون المخابرات ، فعين

اللواء (احتياط) « رحيعام زئيغى » ، الا انه لم يتول مهام منصبه حتى وقتنا هذا ، وما أظنه سيتولاه أبدا.. ان هذا التعيين لم يلق ترحيبا لدى الجميع تقريبا، وليس فقط على شخص اللواء زئيغى ، وانما ايضا واساسا على مبدأ تعيين مستشار لرئيس الحكومة لشئون المخابرات .

ويتلخص الاعتراض فى الاتى :

ــ ان اية محاولة لمنح صلاحيات لهذا المستشار تجعله حاجزا بين رئيس الحكومة ورؤساء ، مما يزيد الطين بلة ، على حد تعبير هؤلاء الرؤساء .

ــ اذا كان المستشار الجديد سيقرأ ويدرس كل تقديرات المخابرات المختلفة التى ستتدفق على مكتب رئيس الحكومة « ويمضغها » ويستوعبها ويلخصها لرئيس الحكومة ، فانه سينشأ وضع غير مرغوب فيه لان تلخيص التقديرات واجمالها سيتحول في نهايه الامر الى مجرد رأى شخصى ، ويصبح هذا أيضا تقديرا فرديا ، وبذا تنتفى « التعددية » . هذا فى حين يجب على رئيس الحكومة وبقية الوزراء الذين يدعوهم أن يستمعوا مباشرة من رؤساء هذه الاجهزة لتقديرات أجهزتهم ، وخاصة أن الموضوعات التى يعرضونها هى موضوعات حيوية وخطيرة تتعلق بأمن البلاد ... وهنا فقط تتحقق التعددية بحق ولا شك أن هناك فرقا كبيرا بين عرض تقرير أو تقدير بواسطة معده وبين عرضه بواسطة شخص آخر ، بل ان طريقة العرض فى الحالة الاخيرة تختلف باختلاف الاشخاص وبالتالى يختلف القرار فى كل حالة عن الاخرى .

ــ أن تعيين مستشار لرئيس الوزراء لشئون المخابرات يلقى عبئا اضافيا على عاتق رئيس الوزراء ، اذ يصبح لزاما عليه ان يتابع كل ما يعرضه عليه المستشار من تقارير والتى حصل عليها من أقسام المخابرات المختلفة ، فى حين أن الوضع الطبيعى أن تكون المسئولية العسكرية الفعلية ملقاة على عاتق رئيس الاركان ، وعلى وزير الدفاع على المستوى الحكومى .

ويتحمل اليوم رئيس شعبة المخابرات العسكرية ـ الذى يعد ايضا مسئولا عن التقدير العسكرى الشامل بالنسبة لنوايا العدو وامكانياته ــ يتحمل مسئولية المتابعة والتقدير فى كل ما يتعلق

بالتطورات في القطاعات المختلفة . ويتحمل وزير الدفاع المسئولية الوزارية كاملة . وفى كل حالة طوارئ أو أخطار فعلية ، هناك كما هو مفهوم ، حاجة لاجراء مشاورات على المستويات المناسبة ومواجهة التقديرات مع بقية اجهزة المخابرات .

اما محاولة تجريد رئيس الاركان او رؤساء الاجهزة من بعض صلاحياتهم بواسطة تعيين مستشارين على اختلاف انواعهم فهى من المحظورات بمكان ، حيث انها تزعزع اطار القيادة العسكرية. ان رئيس الاركان بالاضافة الى كونه قائدا عاما للقوات المسلحة فى اسرائيل — هو المستشار العسكرى لوزير الدفاع . كما أن رؤساء اجهزه الاركان العامة هم أيضا مستشارون لوزير الدفاع كل فى اختصاصه .

ان وظيفة المستشار هى تقديم المشورة بدون تحمل اى مسئولية ، اما المسئولية فتقع على عاتق الوزير ومرؤوسيه التنفيذيين . ويعلمنا التاريخ انه كثيرا ما تنشأ اوضاع يستبد فيه مستشار او مستشارون كبار لرئيس الدولة او رئيس الحكومة او لوزير من الوزراء ، الى انفسهم مهام وصلاحيات باسم هؤلاء الرؤساء أو الوزراء ، ويحاولون وضع تقديرات نهائية للمواقف استنادا الى تقارير المرؤوسين او اصدار اوامر وتعليمات ، ويلقون المسئوليه على هؤلاء الرؤساء او الوزراء .

واذا كان من « الخطأ » ان نحمل جهة ما او شخصا مامسئوليات بدون تحميله مسئوليات محددة ، والا انقلب الامر الى استغلال هذا المسئوليات ، فان من « الخطر » منح سلطات لشخص ما (لجهة ما) بدون تحميله مسئوليات محددة ، والا انقلب الامر الى استغلال هذا الشخص غير المسئول السلطة بما ينشر الفساد والفوضى ، ويؤدى الى الانحلال وخلق مراكز القوى . وقديما قالوا أن السلطة مفسدة ، والسلطة المطلقة مفسدة مطلقة ، وخطر ماحق .

اعادة تنظيم وزارة الدفاع

١ — رأى شمعون بيريز — عند توليه وزارة الدفاع خلفا لموشى ديان — أن الوضع فى وزارته لا يمكن أن يستمر . فرغم كونها وزارة

ضخمة ذات مسئولية خطيرة وثقيلة الا أنها تقف على أرجل رفيعة .. وزارة لم يحدث فيها اى تغيير حقيقى منذ كان ليفى اشكول وزيرا للدفاع . انها تحتاج - فى الحقيقة - الى دراسة مستفيضة لكل جهازها الوظيفى ، والعلاقات بينها وبين الجيش الاسرائيلى نفسه . ومن الواضح ان التغييرات غير ممكنة دون شخصيات ذات مستوى . ولكن ماكان ينقص الوزارة لم يكن أشخاصا فقط ، بل أساليب عمل حديثة أيضا لتعمل كجهازواحد متكامل .. استشارى وتخطيطى وتنفيذى .

ولقد امتنع بيريز - عند توليه منصبه - عن اجراء انقلابات وظيفية فى ادارة الوزارة ، فلم يحضر معه أشخاصا معينين مثلما فعل ديان قبله .. ولكنه بعد عام اصبح فى موقف يسمح له بذلك ، بعد أن عرف موظفيه عن قرب .

وفى البداية ، ساد اعتقاد أن المستشارين سيحلون محل مساعد الوزير ، ولكن الامر ليس كذلك . فوظيفة المستشارين - كما سبق أن ذكرنا - هى تقديم مذكرات وتوصيات واوراق عمل للوزير واعطاء تفسير اضافى لموضوعات مختلفه . كما أن المطلوب من مستشارى الوزير أن يخصبوا فكره وان يعاونوه فى بلورة خط العمل وسيره .. ولكن ليس من وظيفة المستشارين القيام بعمل تنفيذى .

ولقد قام بيريز بملء الفراغ المحيط به بطاقم من المستشارين الاكفاء ولذلك كان يعتبر فى الظاهر طاقما له تقله . طاقم من « الادمغة » التى يجدر استشارته والاستفادة منه . ولكن يبدو أنه كانت هناك احتكاكات غير قليلة فى عمل هذا الطاقم الذىلميكن ابدا عملا مشتركا . لقد دبت العلاقات سيئه منذ البدايه بين بعض اعضاء هذا الطاقم من المستشارين الكبار . وتردد ادعاءمؤداه ان وزير الدفاع لا يجتمع بهم ويكفيه انه قام بتعيينهمبالرغمانهكانمن المقرر انه يلتقى بهم مرة كل اسبوع . وسواء كان هذا أو ذاك ، فلا شك ان فكرة طاقم « الادمغة » لم تنجح « حاول بعض وزراء الحربية المصريين تطبيق نظام المستشارين ولكنه فشل ايضا » .

ولما وضحت النتيجة لشمعون بيريز ، ونظرا لانشغاله بدراسة أوضاع الجيش فضلا عن كونه عضوا فى وفد المفاوضات الخاصة

بفك الاشتباك ، قال « أنه من الضروري ـ أكثر من أي وقت مضى ـ تعيين مساعد لوزير الدفاع ، او نائب له ، يتولى جزءا من العبء الكبير الملقى على عاتق الوزير » .

وبعد اتصالات كثيرة وعرض لمختلف الشخصيات ، تم تعيين الجنرال (احتياط) اسرائيل طال مساعدا رئيسيا له اعتبارا من ١ ـ ١ ـ ١٩٧٥ ليكون مسئولا من قبل الوزير عن تنسيق العمل بين الهيئات المدنية التابعة جهاز الدفاع ، وعن العمل على المستوى القيادي بين وزارة الدفاع والجيش .

٢ ـ تم يوم ١٦ ـ ١ ـ ١٩٧٥ في جلسة مشتركة بين ادارة الوزارة ولجنة العاملين فيها اقرار اسس اعادة تنظيم هيكل الوزارة ، بأمل تحقيق هدفين رئيسيين :

ـ تحسين قدرة مدير عام الوزارة على السيطرة على مجريات الامور في الوزارة وتخفيف عبء السيطرة بواسطة عمل أفرع (أقسام) الوزارة .

ـ زيادة التنسيق بين الجيش والوزارة بزيادة الاشراف من جانب الوزارة على الجيش . وستؤدى عملية اعادة التنظيم هذه الى منح صلاحيات واسعة لمساعد وزير الدفاع ولنواب رؤساء الافرع وبذلك يمكن للوزير ولرؤساء الافرع على التوالي تركيز اهتمامهم على الموضوعات الرئيسية فقط ، كل في اختصاصه .

ولقد ترتب على ذلك انضمام عدد من ضباط الاحتياط الشبان للعمل في وزارة الدفاع .

٣ ـ احداث تخفيضات ضخمة في نشاط الوزارة للحد من نفقات الدفاع ، وجرت هذه التخفيضات في جهاز الوزارة وفي الجيش الاسرائيلي . وتتمثل في تخفيض القوة البشرية في الصناعات،وفي الجيش . « تم تخفيض عدد ٢٠٠٠ وظيفة في الجيش » .

تغييرات في جيش الدفاع الاسرائيلي

بالرغم من تدني مكانه جيش الدفاع وقائده (**رئيس اركان**) وكبار ضباطه في نظر الجماهير بل وفي نظر القاعدة العريضة من الضباط انفسهم بعد حرب أكتوبر (يلاحظ أن نفس الشيء حدث للجيش المصري بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧) ، الامر الذي يدل على مدى التفكك والتمزق الاجتماعي الذي حل بالتجمع الاسرائيلي لدرجة أن يخرج متظاهر ومعه كلب يحمل في رقبته لافتة ضد رئيس الاركان

الذى يكتب قصصا عن الكلية عيزيت .. بالرغم من ذلك قام الجيش بدراسة اخطاء الحرب وخرج منها بدروس طبق معظمها وجارى تطبيق الباقى . ومن بين اهم هذه التطبيقات فى مجال التنظيم والتسليح :

ـ صدور قانون اساسى جديد للجيش الاسرائيلى ، وفق توصية وردت فى تقرير لجنة اجرانات ، واكد القانون الجديد مبدأ خضوع الجيش للقيادة السياسية للبلاد .. اى الحكومة ، على ان يكون وزير الدفاع هو المسئول عن الجيش فيها وحلقة الوصل بينهما ويكون رئيس الاركان هو القائد العام لقوات الدفاع ، ويكون رئيسه فيها وزير الدفاع . (يلاحظ ان الامر يختلف فى القوات المسلحة المصرية حيث ان القائد العام هو وزير الحربية وليس رئيس الاركان)

ـ نظم القانون طريقة تعيين رئيس الاركان واقالته وعلاقته بوزير الدفاع .. الامر الذى كان غامضا ويثير كثيرا من المشاكل . ويرجع السبب فى عدم وضيح هذه الامور من قبل الى أن دافيد بن جوريون أول رئيس وزراء اسرائيل كان يشغل فى نفس الوقت منصب وزير الدفاع . ولقد نص القانون الجديد على ان يتم التعيين بواسطة الحكومة بناء على توصية وزير الدفاع مما يضمن الانسجام فى العمل بين الوزير ورئيس الاركان .

ـ تشكيل مجلس حرب على مستوى القوات المسلحة الاسرائيلية حتى يتحقق نجاح صدور أى قرار بشكل جماعى يمنع التطرف فى التفكير وحتى لا يتحول الوزير أو رئيس الاركان الى ديكتاتور يتخذ القرارات المصيرية بمفرده ، وبذا يمكن تجنب احتمال ارتكاب الاخطاء بواسطه الشخص الواحد .

ـ تفويض رئيس الحكومة ووزير الدفاع معا دعوة الاحتياط اذا ما تعذر عقد اجتماع للحكومة او اللجنة الوزارية لشئون الامن بالسرعة اللازمة .

ويلاحظ ان هذه القوانين لم تظهر فى اسرائيل الا بعد هزيمتها فى اكتوبر ٧٣ ، وهو نفس الشىء الذى حدث فى مصر بعد هزيمتها فى يونيو ٦٧ ، الامر الذى دعا الى صدور القانون رقم ٤ ـ ١٩٦٨ بشأن « القيادة والسيطرة على شئون الدفاع عن الدولة وعلى القوات المسلحة » . ومن هذا يتضح أمران : ـ أولهما ، أن حرب

يونيو ٦٧ واكتوبر ٧٣ تمثلان وجهى مرآة كما سبق ان ذكرنا وتابيهما ، ان الهزيمة تنير الطريق وتوضح الرؤيه امام المسئولين وتدفعهم الى الدراسة وتصحيح الاخطاء ، أما النصر فيعميهم عن رؤية الاخطاء ، ذلك أن لسان حال المنتصر يقول « ما دمنا قد انتصرنا ... اذن لا اخطاء .. وليس فى الامكـــان افضـــل مما كان .. ويجب أن يستمر » .

مخازن الطوارىء

تعتبر مخازن الطوارىء من أهم المسائل التى يتطلبها بناء أى جيش ، فما بالك بجيش يشكل الاحتياط فيه الجزء الاكبر كالجيش الاسرائيلى . لقد كانت أكثر الشكاوى التى تلقتها لجنه اجرانات تتعلق بمخازن الطوارىء وكانت الشكاوى تدور حول نقص فى انواع معدات واسلحة مختلفه ، وحول معدات قديمة وعاطلة ، والطريقه التى تتم بها الصيانة والتخزين ، وكذلك حول الطريقة التى كانت تصل بها المعدات من مخازن الوحدات الى الجبهة وتوقيتاتها خلال حرب أكتوبر . وذكر « زئيف شيف » بتاريخ ١٢ ـ ٢ ـ ٧٥ ، على سبيل المثال قصة اللواء السابع ، فقد تقرر نقله قبل الحرب الى مرتفعات الجولان بدون معداته ودباباته ، وحصل هذا اللواء على دبابات لواء خر . وما ان نشبت الحرب حتى انتاب رجال هذا اللواء الذهول عندما وجدوا مخازن الطوارىء خالية .

واشار « شيف » الى ان الجيش الاسرائيلى اخذ يولى مسألة مخزن الطوارىء أهميه خاصه بعد الحرب فوزير الدفاع ـ شمعون بيريز ـ ذو حساسية كبيرة جدا تجاه هذا الموضوع ، ولاتفوته فرصة اجراء تفتيش على هذه المخازن . كما اشاد « شيف » بجهود الجيش الاسرائيلى بعد الحرب فى اصلاح المعدات وبوه بوفرة الاسلحة الجديدة التى تسلمها ، وكذلك بقطع الغيار الكافية التى وصلت اليه الا أنه أكد وجود مشاكل كثيرة لا تزال قائمة وتحتاج الى معالجة ، وقال : ـ « اذا نشبت الحرب غدا ، فاننا سنصطدم مرة اخرى بمشاكل معينة فى مخازن الطوارىء ولا شك لدى ان هذه المخازن ستصبح هدفا مفضلا للعدو .. وعلى الرغم من الجهود الكثيرة ووسائل الرقابة الجديدة التى ادخلت ، سندرك بالتأكيد مرة أخرى أن هناك معدات لا تزال ناقصة » .

ونتيجة لهذا الاهتمام الذى يبديه المسئولون وعلى رأسهم وزير الدفاع شخصيا ، أصبحت المعدات الاحتياط مثل الدبابات وحاملات الافراد المدرعة تحفظ رتصان فى أعلى درجات الاستعداد مع توفر الوقود والذخيرة فى متناول اليد بدلا من تواجدها فى مخازن منفصلة ، كما كان الحال فى الماضى . ولقد تمت اخيرا سلسلةمن المشروعات لاختبار كفاءة هــذا الاسلوب وتوازن موقف الاسلحــة والمعدات اثناء الحرب .

وفى نطاق تطوير نظام مخازن الطوارىء ، قامت اسرائيـل باستخدام طريقة جديدة لتخزين الدبابات وهى بالشدة الكاملة داخل خيام بلاستيك محكمة الصنع ، وذلك للمحافظة على الدبابات وهى فى حالة استعداد كامل لاطول فترة ممكنة .وتعتمد هذه الطريقة على التحكم فى الجو المحيط بالخيمة بواسطة اجهزة الكترونية لمنع حدوث اى صدأ او تلف قد يصيب الدبابة من جراء عمليات التخزين عترات طويله . وتهدف هده الطريقة الجديدة الى الاتى : ــ

أ ــ تقليل حجم الانشاءات فى مخازن الطوارىء الى أقل حد ممكن بما يقلل من تكاليف انشائها ..

ب ــ توفير عدد الافراد اللازمين للصيانة ، وخاصة وان اسرائيل تعانى كثير من هذه المشكلة .

ج ــ تخفيض عدد الاجراءات الخاصة بالتخزين فيما لو خزنت بالاسلوب التقليدى .

د ــ سرعة تنفيذ التعبئة ، حيث أن الدبابات مخزنة وهى فى كامل استعدادها .

دمج كامل للاسلحة المقاتلة

لقد هدفت عملية اعادة التنظيم للوحدات الى تحقيق دمــج كامل للمدرعات والمدفعية والمشاه الميكانيكية بغرض ضمان عدم اندفاع الدبابات الى الامام فى اتجاه مواقع العدو المدافع عنها بقوة بدون معاونة كافية من باقى الاسلحة .

موقف الضباط

لقد كانت احدى الاسبقيات بعد الحرب هى اعادة بناء كادر الضباط بعد الخسائر الفادحة التى منيت بها اسرائيل خاصة فى الايام الثلاثة الاولى من الحرب .

ولقد كان على الجيش ترقية عدد كبير من الضباط الاصاغر ، وكذا من ذوى الرتب المتوسطة ليتولوا قيادة الكتائب والالوية .

وفى نفس الوقت حل محلهم ضباط احتياط ممن اصقلتهم حرب اكتوبر واكتسبوا خبرة وتجربة ، والذين صار اقناعهم بالعودة الى الجيش والخدمة فيه لمدة عامين لسد الثغرة لحين تخرج ضباط جدد من الاكاديميات العسكرية .

اعادة التسليح

لقد كانت عملية اعادة التسليح هى أكثر التحسينات والتعديلات التى عمدت اسرائيل الى الاعلان عنها ... بما يسبب صعوبة اخفائها أو لمجرد تخويف العرب او للسببين معا .

لقد كانت الفترة التى أعقبت حرب أكتوبر ١٩٧٣ مباشرة هى اصعب فترة فى تاريخ فرع اللوجستيك [الشئون الادارية] بجيش الدفاع الاسرائيلى . فبالاضافة الى أعمال الاصلاح والصيانة وتجديد عدد ضخم من المعدات التى استخدمت فى العمليات الحربية ، كان من الضرورى تطبيق أساليب جديدة وتنظيم جديد ونمط تدريبى جديد . وعلى سبيل المثال ، صار التخلص من المعدات العاطلة المتراكمة بتحويلها الى المصانع . فمثلا ، أرسل عدد كبير من الطائرات لمصانع الطائرات الاسرائيلية لصيانتها ، كما وجه اهتمام كبير للمخازن والتى أصبحت تفتقر الى الكثير من قطع الغيار الامر الذى يكون خطيرا فى حالة الطوارىء كما سبق ان أوضحنا .

ويقودنا موضوع الشئون الادارية لقوات الدفاع الاسرائيلية ، بالضرورة ، الى تحليل المشاكل الرئيسية الجارية الخاصة بمخزون المعدات والاسلحة . وبصفة عامة ، فان القوات المسلحة الاسرائيلية — أو الجيش على الاقل — واقعة الان بين مشكلتين : — التقادم التدريجى للمعدات الحالية ، وادخال معدات العدو التى تم الاستيلاء عليها فى الخدمة .

الدبابات والدفاع المضاد للدبابات

ان الدبابات هى أكثر المعدات تأثرا نتيجة التقادم وسنى الخدمة . أن النوع الاساسى الذى استخدمته إسرائيل هو

السنتوريان . والسنتوريان ليست من الطرازات الحديثة ولكنها استمرت في الخدمة فقط بفضل التعديلات التى أجرتها اسرائيل واهمها استبدال مدفعها القديم بآخر ١٠٥ مم ذى مرمى أطول ودقة أكثر ، وكذا استبدال محركها الاصلى بمحرك ديزل كالذى فى الدبابة الامريكية م ـ ٦٠ .

وعلى عكس الدبابة السوفيتية ت ـ ٦٢ ، فان السنتوريان ليست مجهزة بمعدات رؤية ليلية . ومع ذلك ، فان السنتوريان مازالت الدبابة المفضلة للعمل مع القوات المتمركزة فى الجولان حيث الارض صخرية وغير مناسبة لدبابة الامريكية م ـ ٦٠ . ولكن ، بالرغم من اعمال الصيانة والتحسينات والتعديلات ، فان عمر هيكلها اصبح محدودا ، ولذلك فهى آخذة فى التناقص يوما بعد يوم . وعلى ذلك ، فان الجيش الإسرائيلى يحاول تغيير طرق اصلاح الدبابات المعطلة بحيث يتم معظم الإصلاحات فى الخط الإمامى مباشرة ، بدون سحبها الى الخلف ، وبذا يمكن بقاء اكبر عدد ممكن من الدبابات فى العمل .

وبالاضافة الى الدباباتين م ـ ٦٠ ، م ـ ٤٨ المستخدمتين اساسا فى جبهة سيناء ، فان عددا لا بأس به من الدبابات السوفيتية ت ـ ٥٤ ، ت ـ ٥٥ ، ت ـ ٦٢ والبرمائية ب ت ـ ٧٦ أدخل فى الخدمة بعد الاستيلاء عليه فى الجولتين الاخيرتين . ويدعى الاسرائيليون أن عـــدد هذه الدبابات حوالى ٨٠٠ دبابة منها ٢٠٠ دبابة غيـــر صالحة وعدد ٢٠٠ دبابة اخرى خصصت لتفكيكها لتصبح قطع غيار للدبابات الاخرى الباقية . وعلى ذلك ، فان الباقى الصالح للعمل هو حوالى ٤٠٠ دبابة . ومن الطبيعى أنه قد صار تعديل هذه الدبابات ايضا وسلحت بالمدفع ١٠٥ مم ، ولكن يسبب تنوع الدبابات مشاكل كثيرة خاصة بالصيانة والشئون الادارية وتوفر قطع الغيار .

ويمكن ملاحظـة عمـر معـدات الجيش الاسرائيـلى من معـدات آخرى ، ذلك أنه الجيش الوحيد فى العالم الذى لا يزال يستخدم المركبات نصف جنزير الامريكية القديمة التى يرجع تاريخها الى الحرب العالمية الثانية .

كذلك يوجد حوالى ٢٠٠ دبابة شـيرمان قديمة تستخدم حاليـا كمدفعية ميدان ذاتية الحركة .

ان عدد دبابات اسرائيل زاد من حوالى ١٧٠٠ دبابة قبل حرب اكتوبر من مختلف الانواع بما فيها الشيرمان والسنتوريان الى حوالى ٢٧٠٠ دبابة قابلة للزيادة ، هذا بخلاف الدبابات السوفيتية الصنع والتى لديها الصالح منها بحوالى ٤٠٠ دبابة ، وهذا لايعنى أن اسرائيل لديها جميع الدبابات الامريكية التى تريدها ، ولكنها تأمل استبدال دباباتها القديمة بأخرى أمريكية جديدة [م ـ ٦٠] أو ربما بدبابات صناعة محلية [لقد تمكنت اسرائيل من انتاج بعض عينات التجارب] .

ونتيجة لحرب اكتوبر ٧٣ ، زاد الاهتمام باستخدام الحوامات [طائرات الهليوكوبتر] لقتال الدبابات . وتمتلك اسرائيل حاليا ثلاثة أسراب من لحوامات سى كوبرا ، وبل ٢٠٥ مزودة بصواريخ « تاو » المضادة لدبابات والتى توجه بالسلك . هذا بخلاف المركبات المدرعة المسلحة بنفس الصاروخ .

كما وافقت امريكا على تزويد اسرائيل بالصاروخ المضاد للدبابات « دراجون » متوسط المدى حوالى ١٠٠٠ (متر) .

الفرقة الرباعية

ان أحد أشكال التنظيم الجديد هو الفرقة الرباعية المكونة من ٢ل بب ، ٢ ل مش على أن يسمح الاخيران بمركبات قتال وفى الوقت نفسه يدربان للقتال مترجلين . ومع وجود هاونات خفيفة وثقيلة فى كل ك ، ن وبمدفعيتها العضوية تستطيع الفرقة الرباعية هزيمة دبابات العدو بدباباتها وأسلحتها م د ، وهزيمة قوات المدفعية م د بستارات الدخان وقنابل الانفجار الجوى ، كما يمكنها القيام بمعارك ليلية مدبرة بمشاتها بمعاونة المدرعات .

ان مثل هذه الفرقة تكون قادرة على أن تنزل الى ميدان القتال أتيام غال مختلطة قوية فى المدرعات نهارا ، واتيام مشاة ليلا حتى تضمن بقاء العدو تحت ضغط وتوتر مستمرين ، وحتى ولو لم تحدث اغارات المشاه وهجمات جس النبض الليلية خسائر كبيرة فى العدو ، فانها تستطيع حرمانه من النوم والراحة ، وهذا بدوره يقلل ويحط من كفاءة قواته المدرعة التى يجب أن تنال قسطا كافيا من الراحة حتى تكون دائما مستعدة ويقظة .

الصواريخ أرض – أرض

ان عملية اعادة تسليح القوات الاسرائيلية مستمرة . فلقد استلمت اسرائيل أول كتيبة من الصواريخ الامريكية ارض – أرض « لانس » ذات الرأس المدمر حوالى ١٠٠٠ رطل ومدى ٧٠ ميلا . وتعتبر هذه الصواريخ ذات خفة الحركة العالية فى غاية الدقة . وهى تعمل بنظام التوجيه نصف الايجابى بأشعة الليزر . وقد سبق أن أعلنت وزارة الدفاع لامريكية بتاريخ ١٦ – ١٠ – ١٩٧٥ بانها ستمد اسرائيل بصواريخ لانس بما قيمته ٢ر٦ مليون دولار . وتقول جريدة بديعوت احرونوت بأن العدد يتراوح بين ١٠٠ – ٢٠٠ صاروخ .

كما طلبت اسرائيل الصاروخ « بيرشنج » طويل المدى [حوالى ٤٠٠ ميل) ، الا ان مصر اعترضت رسميا على امداد اسرائيل بهذا الصاروخ ، ولذا لم يتقرر شىء بخصوصه حتى الان . وتقول جريدة بديعوت احرانوت بتاريخ ١٩ – ٩ – ٧٥ بأن الامريكيين لا يزالون يدرسون الموضوع ، والصعوبة فنية وليست مبدئية .

القوات الجوية والدفاع الجوى

١ – عقدت اسرائيل صفقة مع الولايات المتحدة للحصول على الطائرة المقاتلة ماكدونال دوجلاس ف – ١٥ لتدعيم قواتها الجوية فى مواجهة الطائرات المزودة بها سوريا [ميج ٢٣ ، ميج ٢٥] .

وتتميز هذه الطائرة بانها ذات قدرة عالية جدا على المناورة، وانها تصلح لجميع الاجواء وذات قدرة تتبع قتالية عالية تفوق اى طائرة أخرى فى العالم . ويمكن استخدام هذه الطائرة بنفس الكفاءة للمهام جو – أرض بدون التضحية بدورها الرئيسى وهو التفوق الجوى . وهى تحمل جهاز رادار للكشف والتتبع بعيد المدى قادر على تتبع اهداف سريعة على جميع الارتفاعات وصالح للمعارك الجوية . كما تتميز بقوة تسليحها بالصواريخ جو – جو ذات المدى القريب والمتوسط وبمدفعها عيار ٢٠ مم ذى معدل النيران العالى ، وأخيرا تتميز هذه الطائرة بسرعتها العالية التى تزيد عن ٢ ماخ . ومن المقرر ان تستلم اسرائيل أول دفعة وعددها ٢٥ طائرة هذا العام ، على أن تتم باقى الصفقة حتى عام ١٩٧٨ .

وبينما تعتبر خواص هذه الطائرة مقبولة لدى الطيارين الاسرائيليين ، الا ان بعضهم غير مستريح لحجمها . وقد علق أحدهم بقوله « أنى لا اريد أن أكون أكبر هدف فى السماء . ان الهدف الكبير يجذب جميع النيران أولا » .

٢ ـ من المنتظر أيضا ان تحصل اسرائيل على عدد ٢٠ طائرة ف ـ ١٦ عندما تكون جاهزة فى نهاية العقد الحالى . وهى طائرة للتفوق الجوى والهجوم الارضى والتى تتميز برخص ثمنها وكفاءة أدائها ودرجة مناورتها التى قد تحدث ثورة فى تكتيكات المعركة الجوية . وتعتبر اجهزتها الالكترونية أفضل اجهزة فى العالم .

٣ ـ دعمت اسرائيل قواتها البرية بكتائب مختلطة فولكان ـ تشابارال . كل كتيبة مكونة من سريتين فولكان ، كل من ١٢ مدفع عيار ٢٠ مم خفيف الحركة محمل على عربة جنزير ومزود برادار ويتميز بمعدل نيران عال ، وسريتى صواريخ ارض ـ جو تشابارال كل من ١٢ قاذف للاشتباك مع الاهداف المنخفضة ، وتتميز بخفة حركة عالية حيث أن القواذف محملة على مركبات جنزير .. كل مركبة تحمل أربعة قواذف .

يكمل ويدعم هذه الكتائب المختلطة كتائب الصواريخ أرض ـ جو « هوك » للحصول على نظام دفاع جوى متكامل يوفر الحماية للقوات البرية . لقد أملت حرب أكتوبر هذا الاتجاه حيث أن اسرائيل كانت تعتمد أساسا على قواتها الجوية وتفوقها الساحق للحصول على السيطرة الجوية .

٤ ـ للضرب على الاهداف المنخفضة جدا تستخدم اسرائيل حاليا الصاروخ رد آى [العين الحمراء] والذى يوجه بصريا ، كما أنه ذو توجيه ايجابى يعمل بالاشعة تحت الحمراء . هذا بالاضافة الى الصاروخ « ستنجر » وهو الجيل الثانى للصاروخ رد آى ، والذى ينتظر أن تحصل عليه اسرائيل . ويتميز هذا الصاروخ الجديد بأنه يحتوى على جهاز تعارف مما يساعد على التمييز بين الاهداف .

٥ ـ وأخيرا قامت اسرائيل بتعزيز سلاحها الجوى بعدد من طائرات الفانتوم وسكاى هوك وهيركوليزسى ـ ١٣٠ للنقل الجوى واجهزة رادار هوك آى المتطور . كما زاد اهتمام اسرائيل ـ نتيجة

حرب أكتوبر ـ بالنقل الجوى للذخيرة والوقود واستبدلوا طائرة الوقود بوينج ك سى ـ ٩٧ بطائرات نفاثة بوينج ٧٠٧ بعد تعديلها.

القوات البحرية :

١ ـ قامت القوات البحرية الاسرائيلية ـ بعد حرب أكتوبر ـ بتعديل استراتيجيتها من اسطول لحماية سواحل اسرائيل فقط الى أسطول بعيد المدى قادر على العمل بعيدا عن قواعده فى بلده .

ولقد أكد اللواء « بنيامين تيلم » قائد سلاح البحرية الاسرائيلى بأن المهمة الرئيسية ستبقى حماية سواحل اسرائيل والحيلوله دون اصابة التجمعات السكانية والمراكز الصناعية وبقية الاهداف التى من الممكن اصابتها من البحر ، ولكن مع التوسع فى مفهوم الدفاع ليشمل « البحث عن العدو فى كل مكان يمكن أن يوجد به » .

« وهناك واجب آخر وهو الدفاع عن خطوط الملاحة من والى اسرائيل » . وأشار اللواء تيلم الى الاسلوب الامثل لتنفيذ هذه المهام ـ من وجهة نظره ـ وهو اعتناق أساليب عمل هجومية تستهدف تدمير القوات البحرية العربية فى مناطق تمركزها أو فى مناطق عملها أو على خطوط سيرها ؛ الامر الذى يجبر العرب على اتخاذ الدفاع ويقصر مهام البحرية العربية على تأمين سواحلها . وكما يقول « تيلم » ؛ أن العمل الهجومى يخدم الهدف الاساسى وهو حماية السواحل » .

يقول أحد كبار الضباط فى سلاح البحرية الاسرائيلى : « ان خبرة حرب أكتوبر أوضحت لنا ، اننا يجب ان نكون قادرين على حماية سفننا من صقلية الى باب المندب . ان عنق الزجاجة الاستراتيجى القديم عند « شرم الشيخ » عند مدخل خليج العقبة قد انتقل الان الى مدخل البحر الاحمر نفسه عند مضيق باب المندب » .

٢ ـ وبناء على التطورات التكنولوجية فى مجال التسليح البحرى ، والتغييرات التى طرأت على استعدادات البحرية العربية والاسلحة التى تستخدمها واحتمالات عملها ، وكذا الخبرة المستفادة من استخدام المعدات الالكترونية خلال حرب أكتوبر مع ضرورة تطويرها وتحديثها بعد كشفها ، وبناء على تزايد أهمية السلاح البحرى الاسرائيلى وضرورة زيادة امكانياته لتحقيق المهام الجديدة التى القيت على عاتقه ، فان أهم مجالات التطوير تتلخص فى الاتى :

ـ زيادة حجم القوات البحرية واضافة قطع جديدة مع استمرار الاعتماد على القطع الصغيرة المسلحة بالصواريخ لسنوات قادمة .

ـ زيادة مدى تغطية الرادارات الساحلية ، حيث أصبح اليوم يغطي مجالات ومناطق أكبر من الماضي .

ـ الاتجاه الى امتلاك سفن أحدث وأسرع ، وليس الى سفن أثقل وأكبر ، حيث أن السفن الاكبر حجما ستجعلهم يواجهون مشاكل بالنسبة للتكاليف وبالنسبة لحجم القوة البشرية المطلوبة لتشغيلها . أن حجم الطاقم هو أحد العناصر التي تحدد تصميم السفن ، حيث أن البحرية الاسرائيلية لا تستطيع أن تتحمل خسارة أطقم كثيرة وكبيرة في حرب صاروخية عادة ما تنتهي بتدمير القطعة بمن فيها .

ـ الاتجاه الى انتاج صاروخ أفضل وأسلوب أفضل للحرب الالكترونية . فبعد أن طورت اسرائيل الصاروخ [جبرائيل ٢] بزيادة مداه من ٢٠ كم [١٢٫٤ ميل] الى ٤٠ كم [٢٤٫٨ ميل] ، وبعد أن وافقت أمريكا على تزويد اسرائيل بالصاروخ ماكدونال دوجلاس « هاربون » المضاد للسفن البحرية والذى يمكن اطلاقه من السفن أو من الطائرات والذى يبلغ مداه ٦٠ ميلا بحريا ، ويحمل راسا مدمرة وزنها ٥٠٠ رطلا تتطلع الى انتاج صاروخ محلى يجمع بين مزايا هذين الصاروخين بحيث يكون اكبر سرعة ، واطول مدى ، وأقل تعرضا للشوشرة .

ـ تتطلع اسرائيل الى الحصول على حوامات بحرية [هيليوكوبتر] سواء للاستطلاع أو للقيام بأعمال هجومية . ولقد اعطيت لذلك اسبقية متقدمة .

ـ تعزيز التعاون مع باقي الافرع الرئيسية للقوات المسلحة [البرية والجوية] سواء لمواجهة النشاط الفدائي واعمال التسلل من البحر أم للعمل بعيدا عن الموانى الاسرائيلية . وبهذا الخصوص فقد اصبحت قيادة السلاح البحرى قريبة من قيادة السلاح الجوى والقيادة العامة للقوات المسلحة .

ـ توفير واعداد القوة البشرية اللازمة للسلاح ، وفى هذا المجال نشير الى الاتى :

ا ـ هناك وفرة من المتطوعين بعد الحرب ، ولكن بعد انتهاء فترة التطوع الاولى [خمس سنوات] يرفض الشباب التجديد ، حيث انه

لا يرى فى الجيش طريقا لرسالته فى الحياة ، ويريدون ـ على حد قولهم « ان يجدوا أنفسهم » .

ب ـ تبذل قيادة القوات البحرية جهودا ضخمة فى توفير الحوافز المادية والمعنوية والشعور بالانتماء بحيث يسهل على الافراد تجديد خدمتهم .

جـ ـ تولى قيادة القوات البحرية اهتماما خاصا لمسألة تأهيل القوة البشرية ، فهى تقوم برفع كفاءة الضباط وزيادة مدة دراستهم الى ٤ سنوات يحصل الفرد بعدها على رتبة ملازم أول ودرجة خريج من الجامعة وبذا يكون اهلا لتولى مهام قيادية .

د ـ الاهتمام بتدريب رجال الكوماندوز البحريين ورفع كفاءتهم على تنفيذ مهامهم بطرق كثيرة غير تقليدية ، حتى يمكنهم العمل ضد العدو فى الاماكن التى لايتوقعها العرب أو التى يكون توقعهم فيها قليلا .

وفى حديث لقائد السلاح البحرى الاسرائيلى لجريدة دافار بتاريخ ١٤ ـ ٩ ـ ١٩٧٥ لخص دور البحرية الاسرائيلية الان بقوله : « لقد كانت البحرية الاسرائيلية ـ قبل حرب عيد الغفران ـ تعتبر اساسا وحدة ادارية صغيرة يمكنها المعاونة فى الكشف عن قوات صغيرة معادية تحاول التسلل الى اسرائيل عن طريق البحر . ولكن تسببت نتائج نشاط البحرية خلال الحرب وقدرتها على اغراق عدد كبير من سفن العدو ومهاجمة موانيه بدون عقاب يذكر ، فى تغيير نظرة القيادة العليا الاسرائيلية .

« وقبل حرب يوم الغفران ، لم يكن يعترف لنا بأى دور كان ، مما حدا برئيس الاركان العامة ان يقول ان سلاح البحرية « قد اوقع فجأة فى الحرب » . ان هذا لم يفاجئنى . ولكن ما حدث بعد الحرب أنهم وافقوا على الاستماع الينا باهتمام ، وبدأوا يعترفون بانه توجد مشاكل لدولة اسرائيل لا يمكن حلها الا عن طريق البحر . كانت المزاعم قبل ذلك تقول بأن الحرب ستكون قصيرة ، ولذلك لا يحتاج الامر الى قطع بحرية أو تأمين الملاحة .

« كل هذه الامور ظهر انها غير صحيحة . لقد ثبت بالدليل ما سبق أن قاله سلاح البحرية طوال عشرين عاما مضت . لقد طالت

الحرب وظل البحر المتوسط مفتوحا . وفى خلال ايام الحرب الثمانية عشر وصل الى اسرائيل حوالى مائة سفينة ، ولا أعلم ماذا كان سيحدث لو لم تصل هذه السفن . اعتقد ان ذلك ملحوظ جدا سواء من الناحية المعنوية أم من الناحية العملية . وليس هذا كل شيء ، بالطبع هناك أمور تبتت صحتها . لقد اعترفوا بقدرتنا بعد الحرب فقط نتيجة لدور تمنا به بصورة عملية ، ولذلك وجدنا بعد الحرب اذنا صاغية واستجابة ، وحلوا لنا عدة مشاكل حيوية كان يجب حلها . وبهذه المناسبة لم يحلوا جميع المشاكل بعد ، نظرا لان المشاكل لا تحل فى سنتين ولا عن طريق الاموال . ويمكننى القول للاسف الشديد انه ينقصنا اليوم الكثير جدا لحل مشاكل مبدئية .. واعتقد انه يجب ان نحلها » .

الانتاج الحربى

فى محاولة لاصلاح الاقتصاد المتدهور ، اتخذت اسرائيل عدة اجراءات شديدة القسوة بما فى ذلك تخفيض قيمة العملة عدة مرات بلغت حتى الان احد عشر تخفيضا ، فرض ضرائب مرتفعة ، الغاء الاعانات المالية ، الحد من زيادة الاجور ، اخضاع الكثير من أوجه النشاط التجارى والمالى الى الاستقطاع الضريبى . ولكن ، حتى مع كل هذه الاجراءات ، فان اسرائيل غير قادرة تماما على مواجهة نفقات الدفاع المتزايدة بدون معاونة . وهى تحاول استعادة ميزان مدفوعاتها المخرب وذلك بتصدير معدات عسكرية اسرائيلية الصنع ، وكذا انتاج اقصى كمية ممكنة من المعدات لقواتها المسلحة . وتصل نسبة المعدات المحلية الصنع حاليا الى حوالى الثلث . ان اعظم هذه الانجازات لا شك هى الطائرة « كفير » ، والصواريخ « جبرائيل » ، «وشفرير» والبندقية «جليل» وزوارق الدورية «ريشيف» و «الديور» والمدفع ذاتى الحركة سولتام ل — ٣٣ ان موقف اسرائيل الاقتصادى مثير للاهتمام حقا ، حيث انه يوضح انه حتى الدول الصغيرة قادرة على انتاج معدات حربية متقدمة جدا بشرط توفر شرطين :

الاول ، ان تكون الكمية المطلوبة كبيرة بحيث تسمح بالانتـــاج الكمى على مستوى اقتصادى .

والثانى ، يجب ان يكون هناك مستوى تكنولوجى فعال .

وللمعاونة في ابقاء اسعار المنتجات منخفضة ، فان اسرائيل تحاول جاهدة بيع منتجاتها العسكرية في الخارج . ولقد بلغت صادراتها من هذه الاصناف حوالي ٢٠٠ مليون دولار في عام ١٩٧٥ .

ان المؤسستين الصناعيين الاساسيتين اللتين تساهمان في المجهود الحربي هما : صناعات الدفاع الاسرائيلية ، وصناعات الطائرات الاسرائيلية . وتوجد مصانع مؤسسة صناعات الدفاع في بلده « مافلان » في ضواحي تل ابيب . وهي منتجة لمعظم الاسلحة التي يحتاجها الجيش الاسرائيلي ، بما في ذلك البندقية الخفيفة « فال » المصنوعة بترخيص من شركة « ف ن » البلجيكية وتصدر الى مختلف العالم الثالث ، والرشيشة [مسدس] عوزى ٩ مم ، وجميع مدافع الدبابات ، والبندقية « جليل » الجاري حاليا عرضها للتصدير ، وكذا جميع الاحتياجات من الذخيرة من جميع الانواع تقريبا .

ولصالح قطاع الطيران ، تنتج مؤسسة صناعات الدفاع الاسرائيلية المدفع ٣٠ مم « ديفا » بترخيص وبنجاح كبير حيث انها استطاعت تحسينه والتغلب على سبب اعطاله .

اما مؤسسة صناعات الطائرات فهي بلا شك اكبر مؤسسة دفاعية اسرائيلية . ففي قسم الطائرات نجد انتاجها البارز وهو الطائرة « كفير » ، والتي يبدو ان هناك عشرات منها دخلت الخدمة فعلا . وتسعى اسرائيل لتصديرها ويقال ان اكوادور مهتمة جدا بهذه الطائرة .

كما ان النمسا بعثت بوفد عسكري برئاسة وزير دفاعها كارل ليوتندورف يوم ٢٩ ــ ٨ ــ ١٩٧٦ لبحث امكانية تزويد الجيش النمساوي بهذا النوع من الطائرات . ويقال ان اسرائيل كانت قد عرضت تزويد الجيش النمساوي بطائرات « كفير » مقابل واردات من الصلب النمساوي وبعض المنتجات الاخرى ، ولكن الحكومة النمساوية لا تزال مترددة في قبول هذا العرض بسبب ما يمكن ان يترتب عليه من ردود فعل ضارة في علاقاتها مع الدول العربية ، وخاصة وان الطائرة كفير ، هي واحدة من اربعة بدائل [من بينها الطائرة الميراج الفرنسية والطائرة تايجر الامريكية] يجري بحث تزويد القوات الجوية النمساوية باحداها خلال الاشهر القادمة .

وفى قطاع النقل ، فان الطائرة « عرافه » جار انتاجها منذ فترة ، وهى تستخدم فى القوات الجوية الاسرائيلية ، كما صار تصديرها الى مختلف البلاد مثل اكوادور .

وقد نجح قسم الصواريخ بهذه المؤسسة فى انتاج وتصدير الصاروخ المضاد للسفن « جبرائيل [٢] » والذى يشبه فى بعض النواحى الصاروخ « اكسوكيت » وتقوم المؤسسة حاليا ـ كما سبق ان ذكرنا ـ بانتاج طراز معدل ذى سرعة اكبر ومدى اطول واقل تعرضا للشوشرة . كما تقوم المؤسسة بمهمة عمل عمرة وصيانة للصواريخ « هوك » .

ان مؤسسة صناعات الطائرات الاسرائيلية لا يقتصر عملها على الطائرات فقط ، فانها ذات مستوى تكنولوجى عال ، وذلك بفضل افرادها الذين جاءوا من الولايات المتحدة وغيرها . وكنتيجة لذلك ، استطاعت المؤسسة أن تحرز بعض النجاح فى بناء زوارق دورية صغيرة مثل « ديبور » .

وقد تم حديثا انتاج حاملة افراد مدرعة مشتقة من المركبات نصف جنزير الامريكية والسوفيتية القديمة ، ولكنها أكثر كفاءة ، سمتها الرئيسية انها ذات مركز ثقل منخفض [واطئ] .

اما بالنسبة للمعدات الالكترونية ، فان اسرائيل تنتج جميع المعدات والاجهزة الالكترونية المطلوبة للسفن والطائرات الاسرائيلية .

كما انتجت شركة اورليت التابعة لمؤسسة صناعات الطائرات الاسرائيلية نوعا جديدا من الخزن البلاستيك شديدة الصلابة للبندقية م ١٦ ، وذلك تفاديا للعيوب والاعطال الموجودة فى الخزن الالومونيوم الامريكية المستخدمة حاليا فى الجيش الاسرائيلى ، وتتميز الخزن الجديدة بخفة الوزن وسهولة الصيانة والاستخدام علاوة على عدم تأثرها بالظروف الجوية (الرطوبة ـ الحرارة ، الخ) .

كما انتجت شركة « ت مال » للالات الدقيقة التابعة لنفس المؤسسة جهاز قياس « تسامت » للدبابة الباتون . ويتصل الجهاز ببرج الدبابة بواسطة مجموعة تروس دقيقة ، وعند توجيه البرج يتحرك

المؤشر الموجود بالجهاز موضحا زاوية اتجاه الهدف مما يسهل من سرعة التنشين لمدفع الدبابة . ولست فى حاجة الى ان ابين همية السرعة في التنشين وبالتالي في اطلاق النيران حيث ان الثانية في الحرب تعني الفرق بين الحياة والموت .

كما طورت اسرائيل أخيرا نوعا جديدا من بمب (**قنابل**) الهاون ٥٢ ممم ، ٨١ مم ، ١٢٠ مم ،وتشمل هذه الذخائر على اغلفة بلاستيك معبأة بمئات من كرات الصلب الصغيرة . وعند اصطدامها بالارض تنتشر الكرات الصلب بسرعات عالية فى منطقة قتل [انتشار] كبيرة . وقد روعي في تصميم هذه الذخائر الجديدة تماثل خصائصها البلاستيكية [قوانين حركة القذيفة داخل وخارج الماسورة) مع خصائص ذخائر الهاون العادية من ناحية المدى مما يتيح امكانية الاستخدام المختلط بهم .

كما بدأت مؤسسه صناعات الطائرات الاسرائيلية فى انتاج خوذات وسماعات لاسلكية جديدة تتميز عن مثيلاتها الامريكية والمستخدمه حاليا فى الجيش الاسرائيلى بانها اخف وزنا [بحوالى الربع] واكثر قدرة على توفير الوقاية النسبية ضد الشظايا [بحوالى ٢٠ فى المائة] وذلك بعد ان اتضح خلال حرب اكتوبر ان شظايا القذائف من كافه الانواع قد اصبحت اثقل وزنا واعظم سرعه ، وبالتالى اشد فتكا مما كانت عليه بما يتطلب زيادة اجراءات الوقاية للافراد . كما يجرى حاليا — فى هذا النطاق — وبناء على توصية الخدمات الطبية الاسرائيلية — توزيع سماعات بلاستيك للاذن على افراد الجيش الاسرائيلي لوقاية اذانهم وذلك نظرا لقصور الاسلوب القديم باستخدام الصوف الصخرى فى تحقيق درجة الوقاية المطلوبة .

لقد أصبحت اسرائيل تؤمن — نتيجة حرب اكتوبر — بأن توفير أسلحة ومعدات وذخيرة كافية لخوض حرب طويلة ممتدة وتحقيق أهدافها ثم توفير احتياطى استراتيجى وقومى وخاصة من تلك الانواع التى لا تنتجها محليا بل تستوردها من الخارج بدون الاعتماد على جسر جوى أو بحرى اثناء القتال يعتبر أحد أسس عقيدتها ونظرية أمنها القومى . ولذلك فهى تكدس حاليا الاسلحة والمعدات والذخيرة بما يمكنها من ادارة حرب مريرة لمدة اكثر من شهر بدون الاعتماد على الخارج .

ثالثا : التكتيك وأساليب القتال .

الحرب البرية

فشل عقيدة دبابات بحتة

ان فشل الهجمات المضادة الاولية الاسرائيلية على جبهة قناة السويس وحتى فشل الضربة المضادة التى قام بها الجنرال « آدان » يوم الاثنين الاسود (٨ أكتوبر) — كما يسميه الاسرائيليون — اثار موضوع صلاحية عقيدة المدرعات والطريقة العملياتية التى صاغها ودافع عنها الجنرال « يسرائيل تال » . ان عقيدة « دبابات بحتة » لم تشكل فقط سلاح المدرعات الاسرائيلى ، ولكن — بعد عام ١٩٦٧ — شكلت أيضا الجيش الاسرائيلى كله . لقد أكدت عقيدة « تال » الدور المستقل والمكتفى ذاتيا لقوات الدبابات . واعتمادا بصفة أساسية على دقة نيرانها الذاتية . وعلى تقدمها المستمر للامام ، وعلى حشدها لتكون قبضات مدرعة كلها دبابات ، صار تدريب كتائب الدبابات على القتال بوصفها السلاح القاطع للقوات البرية ، التى اعيد تنظيمها حول الدبابات الى تشكيلات واجبها معاونة تقدم الدبابات التى تسحب الجيش كله للامام . وعلى ذلك ، فقد اعتمد كل شىء على دبابات رأس الحربة حيث أن معظم القوات المقاتلة كانت فى هذا الوقت مدرعة ، وحيث كانت المشاه الميكانيكية تشكل وتدرب وتسلح وتجهز لتقاتل اساسا فى دور ثانوى .. واجبها الاعظم كان فى الحقيقة التطهير خلف الدبابات .

لقد كان الاسرائيليون على علم تام بوجود وكفاءة المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات الروسية الصنع ، التى كانت متوفرة باعداد كبيرة لدى الجيوش العربية . كما كانوا يعلمون أن القوات المصرية والسورية مسلحة بأسلحة مضادة للدبابات (م د) قصيرة المدى من نوع « ار . بى . جى » حتى مستوى الجماعة [اصغر تنظيم فى اى قوات مسلحة] ولكن ، كان من المعتقد أنه اذا تقدمت دبابات رؤوس الحربة بسرعة كأسفين صلب — حتى تقلل السطح المعرض للنيران الى أقل حد — على أن تتوقف الدبابات فقط للضرب بدقة على مصادر نيران العدو ، فان الدبابات يمكنها اختراق ستارة النيران م د وتحطيم تشكيلات العدو من مسافات قصيرة . وكما رأينا ، فان ما حدث هو أن دفعت كتائب الخط الامامى أولا ، ثم الالوية الامامية ، واخيرا قوات فرقة الجنرال آدان بدباباتها لتدمر بواسطة نيران

المقذوفات طويلة المدى . وعندما استطاعت الدبابات الوصـــول الى الخطوط المصرية أصبحت مخاطة بحشد من المشاه الذين يطلقون قذائف ار . بى . جى من الكتف . ولما كانت هذه الدبابات بدون مشاه ، فانها كانت ضعيفة وبلا عون .

لقد استطاع الحاجز البشرى م د ـ الذى اقامه المصريون لحماية رؤوس الكبارى شرق القناة ـ هزيمة تكتيكات الدبابات البحتة التى تبنتها وطبقتها اسرائيل . وعلى ذلك كان لزاما على اسرائيل ان تعدل من عقيدتها التكتيكية فى استخدام الدبابات . ولم يكن الامر يحتاج الى كثير من الجهد أو حتى مجرد التفكير . فالحل كان دائما موجودا ، الا أن اسرائيل لم تأخذ به لاسباب عديدة منها :

ـ ايمان اسرائيل ـ منساقة وراء تال بان التشكيلات الضخمة من دبابات القتال التى تتحرك عبر المساحات المفتوحة لصحراء سيناء لا تحتاج الى مشاه ميكانيكية لحمايتها ، وان دبابات (بب) القتال ذات الدروع السميكة لا يجب أن تخشى معظم الاسلحة م د ، حيث أن افتقار سيناء الى السواتر الطبيعية يجعل من الصعب على المصريين استخدام الاسلحة م د قصيرة المدى مثل البازوكا والبنادق عديمة الارتداد .

ولكن كما أثبتت حرب أكتوبر ، فشلت نظرية تال لانها لم تضع فى حسابها الصواريخ م د التى تستطيع تدمير أى دبابات على مسافات بعيدة من مواقع محصنة .

ـ تركيز تال ـ وهو قائد سلاح المدرعات ـ كل اهتمامه وموارد سلاحه على كتائب الدبابات (ك بب) مهملا المشاه الميكانيكيه (مش ميكا) العضوية فى سلاح المدرعات سواء من ناحية نوعيه حاملات الافراد المدرعة المخصصة لهذه المشاه ـ (التى يرجع تاريخها الى الحرب العالمية الثانيه م ـ ٣ الامريكية) : أو من ناحيه عددها (حاملة مدرعة مقابل دبابتين ، بينما اقل نسبة لحماية الدبابات ضد الاسلحة م د هى حامله مقابل بب) ، أو من ناحيه نوعية افرادهـــا ، أو من ناحية تدريب المشاه الميكا سواء التدريب الانفرادى (كمشـــاه بحتة) أو التدريب المشترك مع بب . ويكفى أن نذكر انه بالرغم من تباهى اسرائيل بالروح الهجومية لجيشها ، الا أن مشاتها كانت ذات روح دفاعية محضة ، وقد يرجع السبب الى حساسيتهم بالنسبة

للخسائر فى الافراد والرغبة والحرص على الحفاظ على حياة الاسرائيليين القليلى العدد . ومن المعروف ان الهجوم المترجل يكبد المشاه خسائر أكثر من الهجوم الراكب ، وهم يقولون أنه اذا كان فى استطاعة الدبابة القيام بعمل ما فمن الافضل تكليفها به حيث ان طاقمها أربعة أفراد محميين بدرع سميك قوى .. وليس تسعة او عشرة افراد او حتى أكثر فى حاملة افراد مدرعة ضعيفة التدريع او مترجلين . ان اسرائيل تفضل – اذا كان ذلك ممكنا – أن تقاتل دائما مستخدمة المركبات والاسلحة الثقيلة وليس الاسلحة الصغيرة معرضة حياة شبابها للخطر . هذا فضلا عن أن هذا الاسلوب يشبع غرورها .

– ما أظهرته حرب يونيو ١٩٦٧ من أن الدبابات كانت قادرة على القيام بمعظم المهام الهجومية بدون معاونة تذكر من المشاة .

لكل هذه الاسباب وغيرها مما لا يتسع المجال لذكره ، خالفت اسرائيل الراى الجماعى لخبراء العالميين . الا ان نتيجة حرب اكتوبر ١٩٧٣ اجبرت اسرائيل على أن تتخلى عن غيها وتعود الى رشدها ، وأن تؤمن بأن لكل سلاح خصائصه التى ينفرد بها ، والا لما كان هناك داع لانشاء هذا السلاح ، وبالتالى يجب أن تخصص له المهام التى تتناسب مع هذه الخصائص ليقوم بتنفيذها بأقل خسائر وفى اقصر وقت . ان الجيش شأنه شأن جسم الانسان لابد لكى يعيش ان يؤدى كل عضو فيه مهمته ، وذلك أن الله – سبحانه وتعالى – لم يخلق هذا العضو أو ذاك عبثا .

ان الحل الذى اضطرت اسرائيل الى اتباعه اخيرا ، والذى كانت قد اخذت به كل الدول بلا استثناء منذ زمن طويل (لاشباع نزعة الغرور والصلف لديها تريد اسرائيل أن تكون فريدة فى كل شىء ، حتى ولو لمجرد « خالف تعرف » ، هو استخدام الدبابات ضمن قوات مختلطة تقاتل بتكتيكات مختلطة .. وليس قوات دبابات بحتة تقاتل بتكتيكات دبابات بحتة . وذلك لان الكفاءة القتالية فى ميدان المعركة تتوقف على تشكيل مزيج أو « توليفة » من مختلف الاسلحة . عادة من المشاه والدبابات والمدفعية بمعاونة الطيران التكتيكى . ويتلخص هذا الحل فى الاتى :

١ – مشاة ميكانيكية ذات مستوى عال فى حاملات افراد مدرعة

مجنزرة بالكامل تتبع دبابات القتال عبر الاراضي بمعدل حاملة لكل دبابة ، يمكن لكل منهما معاونة الاخر معاونة وثيقة .

لقد اتخذت عدة اجراءات لتحقيق هذا الدمج والتكامل . ولقد كان التدريب أول هذه الاجراءات . وتقوم المشاه حاليا بالتدريب على حرب المدرعات، والعكس صحيح ايضا حتى يستطيع كلا النوعين تفهم المصاعب والمشاكل التى تقابل الطرف الاخر .

ب ــ هاونات ومدفعية ، ومدفعية صاروخية جميعها ذاتية الحركة عضوية فى تشكيلات ووحدات المدرعات وتتحرك معها ، ولا تتخلف عنها لتقوم بتنظيف الارض من اطقم المقذوفات م د غير المحمية الى عمق ٣ كم على الاقل .

جـ ــ مدافع وصواريخ م ط (مضادة للطائرات) ذاتية الحركة توفر الحماية الجوية المحلية للقوات المدرعة ضد طائرات العدو .

د ــ ضرورة أن يسبق هجوم المدرعات تمهيد نيرانى كثيف من المدفعية والطيران ، وأن يصاحب الهجوم عند بدئه غلالة زاحفة من نيران المدفعية لتطهير وكنس محور التقدم واطلاق قنابل ذات شظايا انفجار جوى تنفجر فوق وأمام الدبابات المهاجمة .

هـ ــ ضرورة التوسع فى استخدام الدخان لتعمية المقذوفات الموجهة م د سواء باطلاق ستائر دخان من الدبابات التى تهاجم على الاجناب أو من قنابل الدخان التى تطلقها مدافع الهاون ذاتية الحركة العضوية فى ك بب .

لقد ذكر دافيد العازار فى محاضرته التى القاها فى الندوة التى عقدت فى القدس فى اكتوبر ٧٥ : ان العبرة الاساسية على الصعيد التكتيكى والتنفيذى هى الاهمية الكبرى للعملية المشتركة والفريق المقاتل المشترك .. وقد أدركنا فى هذه الحرب أن للعملية المشتركة أهمية متزايدة فى الحرب العصرية ، وأصبحت عنصرا حيويا وشرطا النجاح فى كل معركة منفردة فى الحرب . ويعود السبب فى ذلك الى تطور الاسلحة الحديثة وتنوعها . ففاعلية الصواريخ المضادة للطائرات والدبابات ــ كما ثبت فى حرب تشرين مثلا ــ تثقل على الطائرة والدبابة فى تنفيذ مهامها الهجومية .. لذا كان من الضرورى اشراك اسلحة مختلفة ومتنوعة فى هذه المجابهات » .

الجمع بين بناء المواقع وبناء القوة

مع انسحاب اسرائيل ــ بناء على الاتفاقية الثانية لفصل القوات ــ الى ما وراء الممرات واقترابها بالتالى من حدود ما قبل يونيو ٦٧ ، ومناسبة المنطقة لاعمال القتال خفيفة الحركة اكثر من اعمال القتال الثابتة ، وكذا نظرا للزيادة المطردة لتكاليف الاسلحة المتطورة ، وطبيعة بناء جيش الدفاع الاسرائيلى الذى يتكون معظمه من الاحتياط ، فقد يكون من الافضل لاسرائيل اتباع أسلوب الجمع بين الدفاعات الثابتة والمتحركة . ويجيب اللواء « مردخاى جور » رئيس الاركان العامة الاسرائيلى فى حديث له نشرته صحيفة هآرتس بتاريخ ١٦ ــ ٩ ــ ٧٥ عندما سئل عن أولوية الانفاق بين شراء الاسلحة والمعدات وبين اقامة الخطوط قائلا : « على الجيش الاسرائيلى أن يمنح دولة اسرائيل جميع الخيارات ، فعندما ننفق فقط على الاسلحة والمعدات .. بينما نتكلم عن جيش من الاحتياط ، تكون القدرة على مواجهة المفاجأة أقل كثيرا . والغرض من جميع شبكات التحصينات اضافة مدماك ، الى قدرتنا على مواجهة المفاجأة وحاجات الحرب الاساسية بعدد أقل من القوات . ولذا .. لم يكن ممكنا منع المزج بين بناء المواقع والنظام الدفاعى ، وبين بناء القوة . وأعتقد اننا نتوجه نحو المزيد من الانفاق على بناء القوة ، وتدريبها وتسليحها أكثر من أنفاقنا على اقامة التحصينات » .

وليس من المستبعد أن يكون لدى اسرائيل نية اقامة بعض المراكز والمنشآت الدفاعية فى سيناء ، لتشكل مراكز تجمع وانطلاق للقوات المدرعة التى ستتحمل العبء الاساسى فى مواجهة أى هجوم مصرى محتمل . وبذلك تكون تلك المنشآت بعيدة عن المفهوم التقليدى للخط الدفاعى ، ولكنها تحمل اسم الخط للتمويه ولاغراض اخرى .

وعلى كل ، فأيا كان الغرض الاساسى من انشاء الخط الجديد ، فلابد وان يزيد من قدرة قوات الخط الاول على تلقى الصدمة الاولى لأى هجوم ، حتى يمكنها أن تقاوم فورا وبقوة أى محاولة للاختراق . وفى الواقع ، فقد زادت اسرائيل من حجم هذه القوات بحيث تستطيع باستخدام هذا الخط الدفاعى الصمود لمدة يومين على الاقل ، حتى تعطى الوقت الكافى لقوات الاحتياط للتعبئة والوصول الى الخطوط الامامية . ولقد لوحظت هذه العملية مرتين

على الاقل منذ عام ١٩٧٣ .. فى نوفمبر ٧٤ ، وفى يوليو ٧٥ عندما رفع السوريون درجة استعداد قواتهم قبيل انتهاء مدة تفويض قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة .

القتال الليلى :

تلاحظ خلال حرب أكتوبر ٧٣ أن بيانات اسرائيل اليومية الرسمية عن القتال كانت تختتم بالعبارة التالية التى اغضبت المحاربين القدماء ورجال المظلات بصفة خاصة « لقد أمضت قواتنا ليلة هادئة » .

ولا شك أن القتال الليلى يتطلب روحا معنوية جماعية عالية وسيطرة ومباداة من ضبط الاصاغر اكثر مما يتطلبه القتال النهارى ، حيث يمكن استخدام قوات اضخم وحيث يمكن بسهولة السيطرة على تحركات القوات . وفى الليل تزداد فرصة القتال القريب وتعظم اهمية المهارة الميدانية وتصبح الملاحة البرية وقراءة الخرائط — وخاصة فى الصحراء — حاسمة .

ولقد كان الاسرائيليون منذ ايام البالماح يركزون على هذه النواحى فى تدريبهم ويستعلونها فى القتال الليلى فى عام ١٩٤٨ للتعويض عن النقص فى الاسلحة الثقيلة وخاصة المدفعية ، وفى الخمسينات فى غارات المظليين لتقليل الخسائر (ولعل هذا هو السبب فى غضب رجال المظلات) . لقد اثبت اريل شارون فى عام ١٩٦٧ — فى معركة ام قطف بعد أن فشل الاسرائيليون فى اقتحام مواقعها عام ١٩٥٦ — أن التنسيق والمزج بين النيران والحركة بين المشاه ، والدبابات ، والمدفعية ، وقوات الابرار الجويه المحموله فى حوامات (طائرات هليكوبتر) ممكن على مستوى الفرقة ليلا باعداد كبيرة تعادل مئات المرات القوات التى كانت تقوم باغارات ليليه فى الخمسينات . وفى الحقيقه ، فان معركه أم قطف الليلية عام ١٩٦٧ — بعكس معركه ام قطف النهارية والليبية عام ١٩٥٦ — كانت أقوى النجاحات البارزة فى حرب ١٩٦٧ . وعلى ذلك فقد قدمت فرقة شارون — بقواتها المختلطة — نموذجا تبادليا لعقيدة الدبابات البحتة للجنرال تال . هذا النموذج الذى لم يدرس بعمق كاف بواسطة اسرائيل ، كما أثبتت حرب ١٩٧٣ .

وفى حرب اكتوبر ٧٣ ، لم يقاتل الاسرائيليون ليلا ، اللهم الا بعض معارك المظلات الصغيرة ، وبعض اغارات الكوماندوز الناجحة ، واقتحام شارون الليلى لقناة السويس ليلة ١٥-١٦ اكتوبر . وقد يرجع السبب — الى حد ما — فى عدم توسع اسرائيل فى القتال الليلى عام ١٩٧٣ الى الخسائر الفادحة التى تكبدتها فى الاقتحام الليلى بالمظلات على القدس الشرقية فى حرب ١٩٦٧ . ولكن السبب الاهم — ولا شك — هو نجاح العمليات الميكانيكية النهارية والتى يصاحبها معاونة جوية قوية . ان الطائرات لهى اعظم تاثيرا عدة مرات نهارا منها ليلا ، حتى ولو جهزت بمساعدات ملاحية ليلية ، كما ان القوات المدرعة تقاتل افضل فى حالات الرؤية الجيدة حيث يمكن رؤية الاهداف على مسافات بعيدة ، وحيث يمكن اجراء التحركات عبر الاراضي بسرعة . وعلى هذا الاساس ، قاتلت دبابات اسرائيل نهارا واستغلت الليل لاعادة الملء ، واعادة التسليح ، وللقيام باعمال الصيانة ، ولنيل قسط من الراحة

ان احد دروس حرب اكتوبر هو ان الجيش الذى يعتمد اساسا على ثنائى الطائرة — الدبابة ، تقتصر عملياته — الى درجة كبيرة — على العمليات النهارية .

وفى الحقيقة، فان عقيدة الدبابات البحتة وثنائى الطائرة — الدبابة لم تفسد فقط بناء الجيش الاسرائيلى ، بل أفسدت ايضا اساليب قتاله ، وجعلت اسرائيل تتخلى عن كثير من تخصصاتها التقليدية ، ومنها القتال الليلى .

ومن المشاهد الان تركيز اسرائيل فى تدريباتها على ابراز موضوع القتال الليلى فى معظم — ان لم نقل كل — مشروعاتها التدريبية ومناوراتها الحربية كأحد اساليب التغلب على العدو وتحقيق المفاجأة .

استخدام البعد الثالث « الاقتحام الرأسى » .

اكدت حرب اكتوبر اهمية البعد الثالث . . اعنى استخدام الحوامات وطائرات النقل سواء فى أعمال القتال أم فى القيام بأعمال الدعم العسكرى . ان اسرائيل تولى هذا الموضوع اهتماما كبيرا واصبح لديها الان ٣٦ حوامة مسلحة بالصواريخ « تاو »

الموجهة م.د. (١٢ سي كوبرا ، ٢٤ بل ٢٠٥) هذا بخـــلاف الطائرات الاخرى وخاصة سي-١٣٠ لاستخدامها فى عمليات الابرار الجوي وهو ما يزيد فى مدى عمل مثل هذه العمليات .

لقد ثبتت اهمية وضرورة استخدام البعد الثالث عندما تكــون دفاعات العدو قوية ومتصلة أو عندما يتطلب الامر التغلب على مانع مائى كبير أو مانع م . د . عميق وعريض ، وكذلك عندما تكون طبيعة الارض صعبة وغير صالحة للتحرك الا على بعض الطرق المحدودة والتى يدافع عنها العدو بقوة .

ولا شك انه لو كان لدى مصر عدد كاف من الحوامات لتغير اسلوب اقتحام قناة السويس تغيرا جذريا ، بل لقد كان من الممكن — ان لم يكن من المحتم — التعجيل بحرب أكتوبر ١٩٧٣ .

وعلى الرغم من أن الحوامات — شأنها شأن باقى وسائل الصراع المسلح — لها بعض العيوب .. ولكن بالاختيار الجيد للمهام التي تخصص لها ، وأحوال وظروف استخدامها وتوفير المعاونة الشاملة لها يمكنها أن تحقق مهامها بخسائر مقبولة .

وعلى ذلك فان التناقض القائم حاليا بين تعرض الحــــوامات والتوسع المطرد فى استخدامها يمكن التغلب عليه بزيادة كفاءة هذه الطائرات كمركبة قتال طائره ، وحسن التخطيط والاستخدام لها . ولما كانت طبيعة شبه جزيرة ســـيناء صـــالحة جدا ومناســـبة لاســـتخدام عمليـــات البعـــد الثالث بعـــكس الحـــال فى فيتنــــام ، فانه من المنتظر ان تتوســـع اسرائيـل فى هـــذا المجال . ويؤيد هذا الرأى اتجاهات التسليح والتدريب على حد سواء التى تبنتها قوات الدفاع الاسرائيلية بعد الحرب مباشرة .

ان اسرائيل تركز الان على التدريب على عمليات الاقتحام الرأسى بالقوات المحمولة جوا فى عمق أراضى العدو بغرض عزل ميدان المعركة ، وقطع خطوط مواصلاته ، والاستيلاء على أهداف ذات اهمية تكتيكية واستراتيجية فى عمق دفاعات العدو ، وبذا تبث الذعر بين صفوف قواته وتسبب الارتباك لدى القادة والقيادات . وكذا القيام بعمليات خاصة مثل تلك التى قامت بها فى مطار عنتيبى بأوغندا يوم ٤-٧-١٩٧٦ ، كما تستخدم الحوامات كسلاح م . د

فعال . واذا قيل أن هذه الحوامات م . د غير فعالة بالدرجة الكافية أثناء معركة دبابات كثيفة ، فانها تستطيع أن تلعب دورا هاما فيما قبل هذه المعركة وذلك بقتال الدبابات فى مناطق تمركزها وأثناء تقدمها الى منطقة المعركة الرئيسية وكذا عند فتحها للقيام بالهجوم .

الحرب الالكترونية المضادة :

أدت حرب أكتوبر الى تصعيد الكترونى جديد ، اذ كانت بمثابة ميدان اختبار للصواريخ المتطورة الأمريكية والسوفيتية وللوسائل الالكترونية المضادة لها . فلقد حدث أن زودت الولايات المتحدة اسرائيل بـ ٣٠٠ مستودع للوسائل الالكترونية المضادة اثناء الحرب لربطها بأجنحة الطائرات بعد أن كانت قد رفضت امدادها بها فى أغسطس ١٩٧٠ . ولكن هذه الوسائل لم تكن متطورة بما فيه الكفاية لشل فعالية الصواريخ السوفيتية ، فقامت أمريكا بارسال مستودعات وسائل أخرى أكثر تطورا عندما استمرت الحرب . ولقد استطاعت هذه الوسائل أن تواجه بدرجة ما صواريخ سام التى استخدمها العرب اللهم الا صواريخ سام ـ ٦ ، سام ـ ٧ .

وعلاوة على ذلك ، هناك من يقول بأن لو كان هناك متسع من الوقت أمام الوسائل الالكترونية المضادة لتمكنت بدون شك من تقليل فعالية هذه الصواريخ. ولا يعتبر هذا الراى الاخير مقنعا ، اذ أن اى وسيلة (سلاح) يؤدى بالضرورة الى استحداث وسيلة (سلاح) مضادة لها . وهذه الوسيلة المضادة (السلاح المضاد) يؤدى بالتالى الى استحداث وسيلة مضادة للمضادة ... أى وسيلة مضادة للوسيلة المضادة ، وهكذا دواليك . وفى هذه الحالة يصعب التنبؤ بما اذا كان من المحتمل تحقيق النجاح الاكبر للهجوم او للدفاع .

ويقول محللو حرب أكتوبر فى حلف الناتو« ان الحرب الالكترونية اليوم عبارة عن لعبة مستمرة متحركة، فناحية تتطور فى مجال معين، بينما تعمل الناحية الاخرى حتى تتغلب عليها أو تحيدها » .

ويرى الفريق محمد على فهمى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية وقائد قوات الدفاع الجوى اثناء حرب اكتوبر ، ان

الاجراءات الالكترونية المضادة المحمولة جـوا لاتساوى ثمنها حيث انها ذات قيمة محدودة جدا فى المعركة الحديثة . كما يذكر رئيس الاركان أن قادة الطيران الاسرائيلى يتفقون معه فى هذا الرأى ، ويستطرد سيادته قائلا : « انه من الواضح أن سلاح الطيران الاسرائيلي كان يثق كثيرا فى هذه الاجراءات والتى لم تثبت فعاليتها فى المعركة . ودلل على ذلك بما ذكره أحد الطيارين الاسرائيليين الذين اسروا فى حرب أكتوبر « لقد قالوا لنا اننا اذا استخدمنا هذه الاجهزة سوف تكون آمنين ، ولقد استخدمتها ، وهانذا ماسور هنا كما ترى » . ويختتم سيادته رأيه فى الاجراءات الالكترونية المضادة بقوله « ان اى جهاز رادار يمكن اعاقته ، وان اى جهاز رادار ارضى يمكنه أن يتغلب على أى معدات الكترونية محمولة جوا . ان وسائل الاعاقة الاسرائيلية المحمولة جوا لم تكن مؤثرة ضد أجهزة راداراتنا الأرضية ذات مجال العمل الواسع حيث استطاع عاملو هــذه الرادارات أن يتتبعوا الاهداف الجوية المعادية تحت ظروف الاعاقة الكثيفة . ان الاجراءات الالكترونية المضادة ـ كما سبق أن ذكرت ـ لا تستحق كل هذه النفقات التى تخصص لها ولا الجهود التى تبذل من أجلها » .

ويتفق معظم الطيارين الاسرائيليين مع هذا الرأى حتى أن احد الجنرالات الطيارين قال : « ان الحرب الالكترونية المضادة مثلها مثل أعطاء جندي المشاة شنطة الاسعاف الاولى بدلا من طلقات أكثر لبندقيته . ان أفضل اجراءات الكترونية مضادة هى قنبلة ٢٥٠ رطلا فى المكان المناسب » .

ورغم كل هذا ، فان سلاح الطيران الاسرائيلى يبدى اهتماما زائدا بهذا الموضوع سواء باستخدام الصواريخ المضادة للاشعاع الحرارى مثل الصاروخ « شرايك » وهو صاروخ جو ـ ارض ذو توجيــه رادارى ايجابى مداه ٧ ـ ١٠ اميـال ، او باســتخدام قنابل « هوبو » زنة ٢٠٠٠ ، ٣٠٠٠ رطلا وهى من نــوع قنابل « سمارت » التى توجه اساسا نحو منشآت الدفاع الجـوى الارضية ، أو باستخدام الطائرة الصغيرة الموجهة بـدون طيار « Mini - RPV » لاستخدامها فى الشوشرة علـى الصواريخ المعادية . وتحمل هذه الانواع أجهزة حساسة تعمل بالاشعة تحت الحمراء لاكتشاف الاهداف وتمييزها ، وكذا جذب

صواريخ سام واستنزاف قدرة بطاريات سام على اعادة اطلاق النيران . ويبلغ مدى هذه الطائرات ٥٠ ميلا .

كما تلجأ اسرائيل الى شل صواريخ سام واجهزة الراداز بضربها بالمدفعية بعيدة المدى وصواريخ ارض - ارض من طراز « لانس » الامريكية الصنع او صواريخ « جريشو » ذات المدى ٢٨ - ٣٠ ميل والتى يعتقد ان اسرائيل قد نجحت فى انتاجها .

ومن المعتقد أن اسرائيل لديها الان وسائل الكترونية مضادة اكثر تقدما وتطورا من هذه الوسائل ، بل ان المزيد سوف يصل اليها نظرا لان تطويرها مستمر . كما أن المؤسسة العسكرية الامريكية يهمها أن تختبر آخر واحدث ما انتجته فى مواجهة آخر واحدث ما انتجه السوفيت من صواريخ سام التى يعتقد انها وصلت الى سوريا من الاتحاد السوفييتى .

المدفعية والصواريخ أرض - ارض :

لم تحظ الصواريخ ارض - أرض ، بل والمدفعية كلها من اسرائيل بالاهتمام الكافى قبل حرب أكتوبر ، وذلك لانها كانت تعتمد اعتمادا يكاد يكون كاملا على قواتها الجوية وقدرتها على الحصول على السيطرة الجوية منذ بدء القتال والاحتفاظ بها حتى نهايته . ولقد ساعد على ذلك نوعية طائراتها وكفاءة طياريها واستيرادها لطيارين متطوعين من الخارج من ذوى الجنسية المزدوجة ، وكذا تدنى القوات الجوية العربية ، ومثالية مسرح العمليات بالنسبة لاستخدام الطيران سواء من حيث طبيعته المفتوحة أو سمائه الصافية أو جوه الصحو معظم أيام السنة .

ولكن بعد اقامة شبكات الدفاع الجوى العربية العظيمة الفعالية وتكبيدها خسائر فادحة لطيران اسرائيل ، وتضاؤل دور الطيران فوق ارض المعركة نسبيا ، وانه لم يعد فى الامكان اعتماد القوات البرية على سلاح الجو « كدواء ساحر لكل مرض قادر على ان يفعل لها كل ما لا تستطيع هى أن تفعله » ، أجبرها على أن تعيد النظر فى أسلوب استخدام الطائرات وأن تبحث عن بديل لها . وكانت النتيجة هى اعطاء المدفعية ، بما فى ذلك الصواريخ أرض - أرض ، دورها

الصحيح باعتبارها مصدر النيران الرئيسى الذى هو أحد وأهم المقومات الثلاثة للمعركة الحديثة وهى النيران ، وقوة الصدمة وخفة الحركة والقدرة على المناورة .

هذا ، وقد سبق الحديث عما قامت به اسرائيل فى هذا المجال فى القسم الخاص بالتنظيم والتسليح .

الحرب الجوية :

ان الخسائر الفادحة التى تكبدتها اسرائيل فى حرب اكتوبر ، وخاصة فى الساعات والايام الاولى منها نتيجة شبكات صواريخ سام بأنواعها المختلفة والمدافع والرشاشات المضادة للطائرات ، دفعت اسرائيل الى الاتى :ـ

– زيادة قوة سلاحها الجوى عددا ونوعا كما سبق أن أوضحنا .

– زيادة قوة وفعالية وسائل الدفاع الجوى ، كما سبق أن ذكرنا .

– زيادة الاهتمام بالاجراءات « الحرب » الالكترونية المضادة لاعاقة أجهزة الرادار العربية وأجهزة التوجيه والشوشرة عليها ، كما سبق أن ذكرنا .

– العمل على شل صواريخ سام وأجهزة الرادار بضربها بالمدفعية بعيدة المدى وصواريخ أرض – أرض .

– قصر دور القوات الجويه على المهام التى لا تستطيع المدفعية والصواريخ أرض – أرض القيام بها .

– نتيجه لفعاليه وسائل الدفاع الجوى العربى ، فضلا عن توفير الوقايه للطائرات بالانتشار ، وزيادة عدد المطارات والممرات فى كل مطار ، وانشاء الدشم اصبحت اسرائيل تؤمن بأن محاولة احراز أى نوع من التفوق الجوى يجب ان تتم فى الجو بالدخول فى معارك جوية مع القوات الجوية العربية ، وليس بمحاولة تدمير الطائرات على الارض كما حدث فى يونيو ١٩٦٧ ، حيث انها حاولت أن تعيد الكرة فى اكتوبر ٧٣ ، ولكنهافشلت تماما ولم تستطع تدمير طائرة واحدة على الارض .

وأرجو الا يفهم من عرضى هذا ، أن اهتمام اسرائيل بقواتها الجوية سوف يقل ، بل على العكس سوف يزداد بدليل زيادة حجمها وتطويرها وتزايد الميزانية التى ترصد لها سنويا . وليس من المعقول أن تهتم اسرائيل بقواتها الجوية وقت أن كان العرب لا يملكون سلاحا جويا قويا أو قوات دفاع جوى فعالة ،ثم يهملون قواتهم الجوية بعد أن دعم العرب قواتهم الجوية وقوات الدفاع الجوى بحيث اصبحتا قادرتين على التصدى لقوات اسرائيل الجوية ومشاركتها فى السيطرة على سماء المنطقة . كما انه ليس من المعقول أن تكون دولة متفوقة فى سلاح معين ثم تهمله لصالح سلاح آخر مهما كانت الاسباب ، انما المعقول والمنطقى أن تهتم بجميع أسلحتها بحيث يحدث توازن فى قواتها المسلحة يعطى لكل سلاح حقه بما يتناسب مع الدور الذى سيقوم به .. وهو الامر الذى كان مفتقدا فى اسرائيل قبل حرب اكتوبر .

أما ما تغير فعلا فهو ترشيد أسلوب استخدام اسرائيل لقواتها الجوية ، وذلك بعدم تكليفها الا بالمهام الهامة التى تتناسب مع دورها ومكانتها . وسوف تعمل اسرائيل دائما على أن تبقى قواتها الجوية الدراع الطويلة واليد العليا فى المنطقة ومبعث فخرها وزهوها، ويكفى للدلالة على ذلك ما حدث فى مطار عنتيبى بأوغندا فى أوائل يوليو ١٩٧٦ ، والذى تعتبره اسرائيل اول انتصار وفرحة لها بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

الحرب البحرية :

على ضوء الاتجاهات الحالية التى تتم على أساسها عملية تطوير السلاح البحرى الاسرائيلى وخصوصا فيما يتعلق بتمديد وسرعة ونوعية تسليح القطع البحرية ، كما سبق ان ذكرنا ، فانه من المتوقع استمرار الاسس الرئيسية لاستراتيجية اسرائيل البحرية ، والتى ترتكز على اعتناق أسلوب العمل التعرضى لتحقيق المهام المكلفة بها القوات البحرية .. الا وهى حماية سواحل اسرائيل ، والحيلولة دون اصابة التجمعات السكانية والمراكز الصناعية وبقية الاهداف التى من الممكن اصابتها من البحر ، واخيرا الدفاع عن خطوط

الملاحة من والى اسرائيل . وفي حدود هذه المهام وتطبيقا لهذه الاستراتيجية :ـ

ـ يرى الاسرائيليون ـ نتيجة حرب اكتوبر ـ أن مكانة الغواصة كقطعة مثالية ضد الغواصات المعادية تأتي في المرتبة الاولى .

ـ نظرا لما عانته اسرائيل من فرض الحصار البحرى عليها وخاصة في البحر الاحمر ، فانهم يعملون الان على زيادة التعاون والتنسيق بين القوات البحرية والقوات الجوية وخاصة على المسافات البعيدة . وكما يقول اللواء « تيلم » : « اننا سنحاول رفع تكاليف فرض اى حصار علينا في المستقبل الى الحد الذى لا يقدر على الاستمرار في تنفيذه الجانب الاخر » .

ان فتح قناة السويس ألقى أعباء جديدة على البحرية الاسرائيلية تجاه البحرية المصرية التى تعمل الان بمفهوم الاسطول الموحد فى البحرين الابيض والاحمر يستطيع نقل مركز نشاطه من منطقة الى اخرى خلال ساعات .. الامر الذى لا تستطيع اسرائيل التفكير فيه ، فهم ينقلون القطع البحرية الصغيرة برا ، والكبيرة حول افريقيـــــا .

ـ وفي مقابل ذلك ، يرى « تيلم » : « ان فتح قناة السويس يؤدى الى زيادة الملاحة في البحر الاحمر ... اى الى ملء قطاع كبير كان في الماضي قطاعا ميتا .. وبذا ينهى فترة طويلة من الفراغ .. وان هذا الفراغ كان ظاهرة خطرة وسلبية ، حيث انه عندما يكون هناك قطاع ميت فهو خطر ، بينما يتضاءل خطر الحرب عندما تكون هناك حركة مدنية . اما اذا نشبت الحرب واريد وقف الملاحة ، فان تحقيق ذلك يحتاج الى أيام قليلة ، بل ان مجرد النية على وقف الملاحة قبل الحرب يوفر لنا انذارا كافيا لاشك فيه » .

ـ نظرا لعدم استطاعة البحرية الإسرائيلية منافسة الدول العربية من الناحية الكمية ، فانهم يركزون على قدرتهم على التطـــــوير التكنولوجي واستخدام المعدات الحديثة والمتطورة بما يسمح بأن تلعب الوسائل الالكترونية المضادة دورا رئيسيا في معاونة أعمال

قتال القوات البحرية فى صدام مسلح مقبل ؟ مما يزيد من قـــدرة البحرية الاسرائيلية وكفاءتها على تنفيذ مهامها .

وكما يقول اللواء « تيلم » : ان تحديد علاقات القوى البحرية لا يتم فقط طبقا للمقاييس التقليدية (عدد القطع — الانواع — المعدات — التسليح) التى يملـكها كل طرف ، وانمـا يتـم اساسا بالنظـر الى مدى التطور الالكترونى للمعدات وطرق استخدامها والنظريات التى تحكم هذا الاستخدام . ووفقا لعلاقات القوى الحالية ، فاننى اعتقد ان الدول العربية — مثلها مثل اسرائيل — لا تستطيع تحقيق حسم الحرب من خلال عمليات بحرية » .

الخـلاصـــــة

ان اسرائيل ، وقد منيت بأول هزيمة لها منذ بدء انشائها ، حتى ولو لم تكن هزيمة كاملة ، فانها لابد وان تثأر لكرامتها وتستعيد هيبتها فى المنطقة وثقة الجميع فيها . ولكن ، لكونها دولة مغتصبة لارض فلسطين منذ عام ١٩٤٨ ، ومحتلة لاراضى ثلاث دول عربية منذ يونيو ١٩٦٧ ، ومماطلة فى اعادة ما احتلته من اراض وما اغتصبته من حقوق مما اثار الرأى العام العالمى عليها ، وجعلها معزولة دوليا اللهم الا من مساندة الولايات المتحدة وحكام جنوب افريقيا وروديسيا العنصريين . لكل هذه الاسباب ، فانها لا تستطيع ان تبدأ بالعدوان وتشن حربا تسميها وقائية . ولكنها تستعد وتتحفز وتنتهز الفرصة للقيام بضربة مسبقة وليس بحرب وقائية ، بعد أن تكون قد استفزت العرب — وما أسهل ما يستفز العرب — ودفعتهم الى البدء بالهجوم او الحشد او فتح القوات توطئة للقيام به . وبذا تتوفر لها الحجة والذريعة أمام الرأى العام العالمى وأمام شعبها بالقيام بالضربة المسبقة .

ويهمنى هنا أن أوضح الفرق بين الهجوم المسبق أو الضربة المسبقه والحرب الوقائية ، حيث أن الاول يشن عندما يكون هجوم العدو قد بدأ او على وشك البدء ، بينما الحرب الوقائية تشن على اعتقاد ان هجوم العدو ــ وان لم يكن وشيكا ــ فانه حتمى وان أى تأخير فى شنها يتضمن مخاطر جسيمة . وواضح أن الهجوم المسبق يتطلب كفاءة أعلى فى الفوت ويقظة واستعدادا اكبر على جميع المستويات .

واذا لم تستطع اسرائيل القيام بهجوم مسبق ، فيتحتم عليها امتصاص ضربه العدو الاولى ثم تقوم بهجوم عام مضاد ساحق فى أقرب وقت ممكن . ومما يؤيد هذا الاستنتاج هو نمط المشروعات والمناورات التى اجريت فى اسرائيل خلال العامين الماضيين .

لقد تحدث الجنرال جور ــ رئيس الاركان العامة الاسرائيلى ــ فى أبريل ٧٥ عن النظرية الامنية وقال : « انها سياسة تحول دون نشوب الحرب ، ولكنها تؤدى الى انتصارنا باسرع طريقة عندما تنشب الحرب . ومن المؤكد اننا لن نبادر الى شن الحرب ، واذا نشبت فستكون بمبادرتهم فقط » .

ان هذه الاستراتيجية تتطلب مزج الهجوم بالدفاع ،وكذلك الدفاع الثابت بالدفاع المتحرك خفيف الحركة . ولذلك لا مفر من الخطوط الدفاعية الاماميةعلى ألا تستنفد هذه الخطوط جزءا أكبر مما هو ضرورى من موارد اسرائيل العسكرية ، والا فقد الجيش الاسرائيلى تفوقه الوحيد والاهم .. اى تفوقه النوعى الذى تقل اهميته فى القتال الثابت وتزيد فى القتال المتحرك الذى يتميز به جيش الدفاع الاسرائيلى منذ بدء نشأته .

ان هذه الاستراتيجية تتطلب أيضا أن يكون الجيش على أعلى مستوى من خفة الحركة والسرعة وأن يتخلص نظامه الادارى « اللوجيستيكى » من اعتماده على المركبات المدنية المجندة ، وأن يعتمد على الاكتفاء الذاتى الادارى للوحدات وأن يتوسع فى الامداد الجوى .

وقصارى القول ، يمكننا أن نقول ان اسرائيل ستعود الى نظرية امنها الاصلية ــ هذا ان لم تكن قد عادت فعلا ــ التى تعتمد على مستعمرات على الحدود ، وجيش خفيف الحركة ، وخطوط مواصلات جيدة وقصيرة ، ونظام تعبئة كفء ، وجهاز انذار يقظ وفعال .. الخ ، مع بعض التغييرات التى تتلخص فى الاتى :

ـ زيادة حجم الجيش المعبأ عما كان عليه قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

ـ تغيير مفهوم الردع وهدفه ليكون اقناع العرب بعدم قدرتهم على تحقيق أهدافهم باستخدام القوة العسكرية .. وبمعنى آخر ، أن هدف الردع الاسرائيلى اليوم هو منع العرب من المبادرة الى شن الحرب ، ليس لان ذلك سيؤدى الى تدمير الجيوش العربية والاقتصاد العربى ، ولكن لان تلك المبادرة لن تحقق أيا من أهدافهم العسكرية .

ـ العمل على وجود مناطق عازلة مجردة من السلاح بينها وبين جيرانها ، وخصوصا فى سيناء تحقق لها نوعا من الامان ، وفترة انذار مناسبة .

ـ التخلى عن مبدأ الحرب الوقائية للاسباب التى سبق أن ذكرناها ، بل قد تحاول اسرائيل التخلى مؤقتا عن شن الحروب كوسيلة لتحقيق أهدافها والعودة الى أسلوب الاغارات المثيرة على نمط عملية اغتيال بعض القادة الفلسطينيين فى بيروت وعملية مطار عنتيبى فى أوغندا فى محاولة لاستعادة ثقة العالم والشعب الاسرائيلى فى عظمة الجندى الاسرائيلى ودهائه العسكرى المنقطع النظير وتفوقه التكنولوجى الرائع . وفى الوقت نفسه التأكيد على دور اسرائيل بوصفها الحارس الامين الذكى الذى يمسك بالعصا الغليظة فى حالة استعداد دائم للدفاع عن مصالح الغرب سواء فى منطقة الشرق الاوسط أو حتى فى قلب القارة الافريقية .

ـ الاشتراك مع جهات مختلفة فى وضع مخطط استعمارى صهيونى يهدف فى خلال سنين قليلة الى استنزاف كل الطاقات

العربية .... بشريا واقتصاديا ونفسيا ... الخ بواسطة العرب أنفسهم وبدون أن تظهر هي بصورة سافرة ، لان دخولها بصورة مباشرة في المعركة أصبح خطرا على الغرب لانه يؤدى تلقائيا الى جمع شمل العرب بكل النتائج الاقتصادية الرهيبة المترتبة عليه .

وغنى عن البيان ، أن ما حدث في السودان في أوائل يوليو ٧٦ وما يحاولون أن يقوموا به في مصر ، وما يحدث حاليا في لبنان وما سوف يحدث في دول الخليج قدأدى الى نتائج فاقت كل ما كان يحلم به واضعو هذا المخطط ... ولعل اهمها بالنسبة لاسرائيل هـو احباط فكرة الدولة الفلسطينية العلمانية التى تنادى بها منظمة التحرير الفلسطينية ليعيش فيها المسلمون واليهود والمسيحيون معا ، اذ أن تقسيم لبنان وخلق دولة مارونية مسيحية في جزء منه يعنى فشل هذه الفكرة ، وبهذا يترسخ الكيان الصهيونى كحقيقة واقعة فى المنطقة وتجد اسرائيل المبرر والذريعة لوجودها .

ــ ضرب العرب بعضهم ببعض ، فتارة تلوح بأغصان الزيتون لدولة عربية ما وتخطو معها خطوات نحو السلام مما يثير حقد دول عربية أخرى ويدفعها الى مناصبة الدولة الاولى العداء ويصبح حليف الامس عدوا اليوم . وعندئذ تنتهز اسرائيل الفرصة وتتقرب من هذه الدول الحاقدة والطوائف الرافضة العميلة وتخطط معها عن طريق راعيتها أمريكا لتحقيق أهدافها الواحد تلو الاخر بواسطة أيد عربية مع تقديم مساعدتها خفية .

ـــ العمل على محو آثار ما تركته بطـــــولات الجندى المصرى والتضامن العربى يوم ٦ أكتوبر وطيلة هذه الحرب فى الرأى العام الغربى ، هذه البطولات التى حطمت كل الاساطير التى نسجتها ــ على مر السنين ــ الدعاية الصهيونية المتغلغلة فى وسائل الاعلام الغربى سواء بالنسبة لكفاءة الجندى الاسرائيلى أو ضعف الجندى العربى ، وأن ما حدث في أكتوبر ١٩٧٣ كان استثناء طارئا لقاعدة ثابتة ، وأنه نتيجة خطأ لن يتكرر .

ــ محاولة استعادة عطف العالم الغربى باعادة تصوير اسرائيل « بالحمل الوديع » الذى ينشد السلام ، والذى يجابه بمفرده الغول المتعطش للدماء حتى دماء أبنائه . وبعد عملية مطار عنتيبى ظهرت نغمة جديدة ، وهى أن اسرائيل تجابه أيضا الغول الافريقى .

الفهـــرس

مجلس المستشارين

رئيس المجلس : دكتور بطرس بطرس غالى

أعضاء المجلس :

- دكتور أسامة الباز — السفير بوزارة الخارجية
- الاستاذ السيد ياسين — مدير المركز
- الاستاذ جميل مطر — مدير ادارة التخطيط والمتابعة بجامعة الدول العربية
- دكتور سليمان نور الدين — خبير بمنظمة الأغذية والزراعة
- الاستاذ سميح صادق — مدير ادارة المنظمات والمؤتمرات الدولية بجامعة الدول العربية
- دكتور عبد الملك عودة — عميد كلية الاعلام بجامعة القاهرة
- دكتور محمد يحيى عويس — أستاذ ورئيس قسم الاقتصاد بجامعة عين شمس
- دكتور محمد طلعت الغنيمى — أستاذ ورئيس قسم القانون الدولى جامعة الاسكندرية
- دكتور محمود خيرى عيسى — عميد كلية الاقتصاد بجامعة القاهرة

مجلس الخبراء

رئيس المجلس : دكتور بطرس بطرس غالى

أعضاء المجلس :

دكتور السيد عليوه — خبير بالمركز

الاستاذ السيد ياسين — مدير المركز

اللواء حسن البدرى — أستاذ التاريخ العسكرى بأكاديمية ناصر ورئيس الوحدة العسكرية بالمركز

الاستاذ حسن يوسف — رئيس الوحدة التاريخية بالمركز

دكتور سامى منصور — خبير بالمركز

دكتور على الدين هلال — مدرس العلوم السياسية بجامعة القاهرة ورئيس الوحدة السياسية بالمركز

دكتور عمرو محى الدين — استاذ الاقتصاد بجامعة القاهرة ورئيس الوحدة الاقتصادية بالمركز

الاستاذ طارق البشرى — مستشار بمجلس الدولة وخبير بالوحدة التاريخية

دكتور لطفى عبد العظيم — رئيس تحرير الاهرام الاقتصادى

الكتاب :

ليس هناك من شك فى أن حرب أكتوبر قد غيرت من موازين الصراع العربى الاسرائيلى تغييرا جوهريا ، ليس هذا فقط بل لقد غيرت أيضا فى عديد من المذاهب والعقائد العسكرية والاستراتيجية . ذلك لانه لاول مرة فى تاريخ الصراع تأخذ القوات المسلحة العربية بزمام المبادرة فى أيديها ، مما أحدث المفاجأة لدى العدو الاسرائيلى على المستوى الاستراتيجى فى المقام الاول .

ولقد حاول الجيش الاسرائيلى أن يستوعب دروس الجولة العربية الاسرائيلية ، فمضى فى تطوير عقائده وتنظيماته وتسليحه .

والكتاب يحاول من خلال دراسة تخصصية وثيقة لضابط مصرى بارز سبق له أن شغل عددا من المناصب الهامة فى القوات المسلحة المصرية ، أن يلقى الضوء على نظرية الامن الاسرائيلى فى نشأتها وتطورها والتغييرات التى لحقت بالجيش الاسرائيلى بعد حرب أكتوبر .

●●●●

المؤلف :

تخرج المؤلف من الكلية الحربية عام ١٩٣٩ (سلاح المدفعية) . نال شهادة معلم مدفعية من انجلترا عام ١٩٤٩/٤٨ . حصل على كلية أركانحرب عام ١٩٥٢ ، عين بعدها كبيرا لمعلمى مدرسة المدفعية ثم قائدا لنفس المدرسة عام ١٩٥٦ . شارك فى حرب ١٩٥٦ كقائد لمعركة أبو عجيلة . أوفد فى أول بعثة للاتحاد السوفيتى (أكاديمية فرونز) عام ١٩٥٧ . تولى التدريس فى كلية القادة والاركان ، الى أن عين رئيسا لهيئة البحوث العسكرية عام ١٩٦٤ ، ومديرا لاكاديمية ناصر العسكرية العليا عام ١٩٦٩ ، ورئيسا لهيئة التفتيش بالقوات المسلحة عام ١٩٧١ ، ورئيسا للجنة اعداد الدولة للحرب عام ١٩٧٢ ، وكبيرا لضباط الاتصال بالقيادة العليا للقوات المسلحة عام ١٩٧٣ ، وأستاذا لكرسى الاستراتيجية بأكاديمية ناصر عام ١٩٧٤ .

0655663
5.475
694
271

الثمن ١٥ قرشا

